

ساري حنفي | *Sari Hanafi

الاستقطاب المجتمعي والحرية الأكاديمية في زمن الليبرالية الرمزية

Societal Polarization and Academic Freedom in the Time of Symbolic Liberalism

يواصل الباحث، في هذه الدراسة، فكرته التي عرضها في دراسة سابقة عن "الليبرالية الرمزية"، التي وجد أنها تصف استجابات العلوم الاجتماعية لأمراض الحداثة المتأخرة، التي تقوم على مزيج، إذ تُعرّف بأنها ليبرالية كلاسيكية، ولكنها غير ليبرالية سياسياً. تحتاج هذه الدراسة بأن هذه الحداثة تشهد استقطابات في مختلف المجتمعات، بما في ذلك الحرم الجامعي ووسائل الإعلام. ويتجلى ذلك من خلال درجات عالية من التعصب، ظهرت في الحوار حول المسائل السياسية والثقافية والاجتماعية، الذي ساد خلاله الانحياز إلى طرف معين وتبني المواقف، بدلاً من استعمال حجج قوية ومقنعة. إن هذا التعصب يصدر من اليسار واليمين، ويتجلى بما يعرف بـ "ثقافة الإلغاء" لدى الطرفين. ونتج من انتشار "ثقافة الإفراط بالسلامة" بين المسؤولين الإداريين اتخاذ قرارات متسريعة، وعقوبات ضد بعض الأساتذة الجامعيين لمجرد استخدام بعض المراجع في الصف أو عدم تنبيه مسبق للطلاب عنها في ظل مناخ يسوده الخوف. وتقدم الدراسة أمثلة من الولايات المتحدة وفرنسا، وغالباً ما يقودها الليبراليون الرمزيون. وبعد ذلك، تقدم حالة تتعلق بالحرب الحالية على غزة.

كلمات مفتاحية: الاستقطاب المجتمعي، الحرية الأكاديمية، الولايات المتحدة، فرنسا، الليبرالية.

In this study, the researcher builds on the idea he presented in a previous study on "Symbolic Liberalism", which he used to describe the responses of social sciences to the ailments of late modernity. This modernity is characterized by a blend, where it is defined as *classical liberalism but politically illiberal*. The study argues that this modernity is undergoing polarization across various societies, including on university campuses and in the media. This is evident through high levels of intolerance that have surfaced in discussions on political, cultural, and social issues, where bias and taking sides prevail over the use of strong, persuasive arguments. This intolerance comes from both the left and the right, manifesting in what is known as "cancel culture" on both sides. The spread of "over-safety culture" among administrative officials has led to hasty decisions and sanctions against some university professors, merely for using certain references in class or for not providing prior warnings to students, all within an atmosphere of fear. The study provides examples from the United States and France, often driven by symbolic liberals. Following this, provide a case related to the ongoing war in Gaza.



Keywords: Societal Polarization, Academic Freedom, War on Gaza, France, USA, Liberalism.

ليبرالية سياسيًا؛ لأنها لا تستطيع احترام الطريقة التي يتداول بها الناس تفكيرهم الأخلاقي. نتيجة طبيعة الليبرالية الرمزية، نشهد استقطابًا هرميًا في مجتمعات مختلفة، تعكسها كتابات تحت أسماء مثل حرب الثقافات، ورد الفعل الثقافي، وسياسات الغضب، والذي يتعمق خصوصًا حول قضايا سياسات الهوية. يرى مارك فريمان⁽⁴⁾، في مشروعه حول الاستقطاب، أنه على الرغم من أن مشكلة الاستقطاب لا تتساوى في أي مكان مع الحرب الأهلية والاستبداد والإبادة الجماعية وغيرها من الشرور، فإنها يمكن - إذا تم تجاهلها - أن تصبح نذيرًا وتسارعًا لها. ويتنوع الاستقطاب كثيرًا، حيث يربط بصفات عديدة، على سبيل المثال: عاطفي، أيديولوجي، متماثل، غير متماثل، سياسي، اجتماعي، إثني، ديني، عنصري، نخوي، جماعي، ضار، سام، حميد، وما إلى ذلك. يمكن أن يعتبر المرء الاستقطاب مشكلة متفاقمة Hyper-problem؛ أي القضية التي تجعل حل كل مشكلة أخرى أشد صعوبة⁽⁵⁾.

ومن ثم، فإن الاستقطاب ليس انقسامًا اجتماعيًا بسيطًا، بل هو انقسام أو صراع بارز يؤدي إلى إقصاء المجموعات الرئيسة في المجتمع و/أو العنف؛ ولهذا السبب غالبًا ما يكون هرميًا لأنه يستلزم السلطة والهيمنة. اليوم، هذه الظاهرة موجودة في كل مكان، بما في ذلك الجامعات ووسائل الإعلام. ويتجلى ذلك من خلال درجات عالية من التعصب، ظهرت في الحوار حول المسائل السياسية والثقافية والاجتماعية، الذي ساد خلاله الانحياز إلى طرفٍ معيّن وتبني المواقف، بدلًا من استخدام حجج قوية ومقنعة.

يتجلى هذا التعصب في ما يعرف بـ "ثقافة الإلغاء" Cancel Culture، التي يمارسها اليسار واليمين على حد سواء، وإن بدرجات متفاوتة. وبلغت هذه الظاهرة درجة غير معهودة؛ ما أثار قلق الكثير من الباحثين، وأدى إلى توقيع عدد منهم رسالة "عن العدالة والحوار المفتوح"⁽⁶⁾. ولم يوقعها المحافظون فحسب، بل وقّعها أيضًا كتاب معروفون من اليسار مثل نعيم تشومسكي، ومارتن أميس، وغلوريا ستاينم، وسلمان رشدي، ومارغريت أتوود. وتعرّف الأطراف الموقّعة ثقافة الإقصاء بـ "عدم التسامح مع الآراء المختلفة والتشهير والنبد الاجتماعي والسعي نحو حسم المسائل السياسية المعقدة من يقين أخلاقي مطلق"، والذي يمكن أن "يكثف مجموعة جديدة من المواقف الأخلاقية والالتزامات السياسية التي تميل إلى إضعاف معاييرنا للنقاش

"ليس لدينا مشكلة مع الأشخاص الذين لا يشبهوننا، طالما أنهم يفكرون مثلنا"⁽¹⁾.
نيكولاس كرسstof

"[في زمن الحرب] لا مكان لمفاهيم الصواب والخطأ والعدالة والظلم. حيث لا توجد سلطة مشتركة، لا يوجد قانون؛ وحيث لا يوجد قانون، لا يوجد عدل. القوة والاحتياال هما الفضيلتان الأساسيتان في الحرب"⁽²⁾.
توماس هوبز

مقدمة

في تشرين الأول/ أكتوبر 1992، ضرب إضراب طلابي جميع أنحاء فرنسا. ونظم الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين UNEF فعالية مع الهيئات الطلابية كافة لدعم الحركة. وكنت حينها رئيسًا للاتحاد العام لطلبة فلسطين في فرنسا. وما إن استدعاني الرئيس للحضور إلى المنصة حتى صرخت مجموعة من الطلاب ضدي. وفي نهاية الفعالية، سألت: "لماذا فعلوا ذلك قبل أن أتحديث؟"، قبل لي: "إنهم لا يحبون الفلسطينيين".

ليست هذه الحادثة معزولة؛ فالمجتمع يُستقطب على نحو متزايد بين مجموعات لا تريد التحدث مع بعضها. في حدثتنا المتأخرة، نشهد استقطابًا هرميًا في المجتمعات المختلفة، يتجلى في اتساع الفجوة بين النخب المختلفة. ويمكن الاستشهاد بأمثلة كثيرة من الولايات المتحدة الأمريكية، مثل هزيمة دونالد ترامب في انتخابات 2020، وإسرائيل بعد الانتخابات الأخيرة عام 2022، وفي تركيا في انتخابات حزيران/ يونيو 2023. ويعكس الفشل السياسي للربيع العربي هذا الاستقطاب، حيث رأينا على سبيل المثال انعدام الثقة بين النخب العلمانية والنخب الدينية في دراسة سابقة لي⁽³⁾ اعتبرت أن الجزء الأكبر من استجابات العلوم الاجتماعية و/أو علم الاجتماع لأمراض الحداثة المتأخرة تم تعريفه على أنه ليبرالية كلاسيكية ولكنه غير ليبرالي سياسيًا؛ وأنا أسمى هذا المزيج "الليبرالية الرمزية". يسعى هذا النوع من الليبرالية، بدعم من الرأسمالية العاطفية والنيوليبرالية، لتجاهل مركزية التوصل إلى مفهوم موحد للعدالة وفرض مفهوم مهيم ومنزوع الثقافة Decultured للخير على حساب تعددية مفهوم الخير. وبهذا المعنى، فهي غير

4 Mark Freeman, "First Principles: The Need for Greater Consensus on the Fundamentals of Polarisation," *IFIT Discussion Paper*, Institute for Integrated Transitions (May 2023), accessed on 22/9/2023, at: <https://bit.ly/3SnZtZU>

5 Ibid.

6 "A Letter on Justice and Open Debate," *Harpers Magazine*, 7/7/2020, accessed on 22/9/2023, at: <https://tinyurl.com/3vpns6pc>

1 Nicholas Kristof, "A Confession of Liberal Intolerance," *The New York Times*, 7/5/2016, accessed on 30/7/2023, at: <https://bit.ly/4cUNUBv>

2 Thomas Hobbes, *Leviathan*, G. A. J. Rogers & Karl Schuhmann (eds.), vol. 1 (Bristol: Thoemmes Continuum, 2003), p. 103.

3 ساري حنفي، "نحو علم اجتماع حوار"، عمران، مج 12، العدد 46 (خريف 2023)، ص 31-7.

اللياقة السياسية Politically Correct Speech. وأكدت نتائج التأثيرات المهمة لأيدولوجيا اليسار واليمين لتفسير هذا المؤشر⁽⁹⁾.

في الآونة الأخيرة، تشير حوادث كثيرة إلى خنق الحرية الأكاديمية، وقد اتخذت أشكالاً مختلفة. فمثلاً، قُصِّل بعض الأكاديميين من مناصبهم في ألمانيا والمملكة المتحدة وإسرائيل بسبب موقفهم المنتقد للإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزة، كما هو الحال مع الأنثروبولوجي ذي الشهرة الدولية غسان الحاج⁽¹⁰⁾، كما جُرَّ الباحثون إلى المحاكم. لقد بين كل من ليتيسيا أتلاني ديو وستيفان ديفوا⁽¹¹⁾ أن زيادة الدعاوى القضائية لمقاضاة الباحثين بتهمة التشهير قد أثّرت في استقلالية الأكاديميين، وجعلت الباحثين الذين يعملون على مواضيع حساسة في موضع خطر، ما أثر سلباً في حرية التعبير والكلمة، اللتين تعدّان أمرين ضروريين للجامعات لتمكين الطلبة من تكوين متفتح. ولذلك دور مهم في تدليل الطلبة⁽¹²⁾؛ حيث تسلط دينا كيوان⁽¹³⁾ الضوء خصوصاً على الانتشار المفرط للفردنة Individualization، واللجوء للسيكولوجي Psychologization، مما "يُطفّل" المجتمع وخاصة الطلاب، ويتعلق كل ذلك بالانعطافة العلاجية Therapeutic Turn في كثير من البلدان كالمملكة المتحدة والولايات المتحدة. وتجلّى هذه الانعطافة في حماية المصالح القانونية والموجهة نحو السوق لمؤسسات التعليم العالي. فلقد عززت النيوليبرالية والرأسمالية المشاعرية المنغمسة في كل المجالات، بما في ذلك المجال الأكاديمي، ثقافة الاستقطاب والإلغاء. ونتج من سلعة التعليم العالي، واعتبار الطلاب زبائن انتشار "ثقافة الإفراط في السلامة" Culture of Safetyism بين المسؤولين الإداريين (وخاصة من النظام التسيري الجديد New Managerial حيث لم يعد الإداري من الحقل الأكاديمي)، اتخاذ قرارات متسعة، وعقوبات غير مناسبة، ضد بعض الأساتذة الجامعيين لاستخدام بعض المراجع في الصف أو عدم تنبيه مسبق للطلاب عنها في ظل مناخ يسوده الخوف. أتناول هنا ثلاث قضايا أساسية لفهم العلاقة بالحرية الأكاديمية: الأولى ما يميزها من حرية

المفتوح والتسامح مع الاختلافات لصالح توافق أيدولوجي⁽⁷⁾. ويجري اللجوء (السهل والسريع) إلى تعبيرات لتشويه وشيطنة مفرطة، ضد كل من يخالف الرأي (مثل الفيروس والمرض والجائحة و"يسار موصوم بأنه إسلامي Islamo-gauchiste" والمهندسين ... إلخ). غالباً ما تكون النتيجة تجمع وجهات النظر والمعتقدات وتطرفها بين قطبين متباعدين ومتعارضين. وهو ما أثار خوف الأكاديميين والفنانين والصحافيين خشيةً على مصدر رزقهم، إذا حادوا عن الإجماع الظاهري داخل مكان عملهم، أو لم يبدوا حماساً كافياً للخطاب المهيم.

لأوضح هذه الإشكاليات مركزاً أساساً على الحريات الأكاديمية، لن أقدم أمثلة من العالم العربي، حيث هذه الحرية في وضع صعب للغاية⁽⁸⁾، بل سأكتفي بثلاثة أمثلة: أولاً من بلدين ديمقراطيين ليبراليين هما الولايات المتحدة وفرنسا، لأبين مدى انتشار "ثقافة الإقصاء" في بلدان تتفاخر بالحريات الأكاديمية، وغالباً ما يقودها الليبراليون الرمزيون. وبعد ذلك، أدرس حالة تتعلق بالحرب الحالية على غزة، لأنها كشفت على نحو فاقع إشكاليات الاستقطاب المجتمعي والحريات الأكاديمية. وسأقدم أربعة عوامل يمكن أن تفسر الموقف الغربي المؤيد للإبادة الجماعية في غزة: استغلال لذكرى المحرقة، والصورة الزائفة لإسرائيل دولة علمانية، وكراهية الإسلام (صورة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" منظمة متعصبة وليست حركة تحرير وطنية)، والإرث الاستعماري الأوروبي الأمريكي. ولكن قبل ذلك، سأوضح بعض ملامح النقاشات حول إشكاليات الحريات الأكاديمية.

أولاً: إشكاليات مفهوم الحريات الأكاديمية

يمكن رصد تفاقم ظاهرة التعصب في الأكاديميا من خلال بيانات كثيرة في العقد الأخير. وهي ليست فقط معلومات سرديّة كفيّة، بل بيانات رقمية. فعلى سبيل المثال، يُظهر الاستطلاع الذي أجري بين علماء السياسة في جميع أنحاء العالم The World of Political Science Survey في عام 2019 أن الردود على مؤشر إلغاء الثقافة تعكس تجربة القيود المتزايدة على حرية التعبير الأكاديمية، والضغط من أجل التوافق الأيدولوجي، وفرض

9 Pippa Norris, "Closed Minds? Is a 'Cancel Culture' Stifling Academic Freedom and Intellectual Debate in Political Science?" *Working Paper Series*, no. RWP20-025, Harvard Faculty Research (August 2020), p. 16.

10 "Statement Regarding my Sacking from the Max Planck Institute of Social Anthropology," Hage Ba'a, 8/2/2024, accessed on 10/2/2024, at: <https://bit.ly/46fThc7>

11 Laëtitia Atlani-Duault & Stéphane Dufoix, "Chercheurs à la barre. Les sciences sociales saisies par la justice," *Socio. La nouvelle revue des sciences sociales*, no. 3 (2014), pp. 9-47.

12 Greg Lukianoff & Jonathan Haidt, *The Coddling of the American Mind: How Good Intentions and Bad Ideas Are Setting Up a Generation for Failure* (New York: Penguin Press, 2018).

13 Dina Kiwan, *Academic Freedom and The Transnational Production of Knowledge* (Cambridge: Cambridge University Press, 2023).

7 Ibid.

8 عدنان الأمين، "الجامعات العربية وتحديات التغير الاجتماعي"، عمران، مج 7، العدد 26 (خريف 2018)، ص 61-85؛ ساري حنفي، "القلم والسيوف: الهامش الضيق في الحريات الأكاديمية"، إضافات، العدد 29-30 (ربيع 2015)، ص 4-9.

ونوع النظام السياسي (استبدادي، ديمقراطي ليبرالي، ديمقراطي شعبي). تكشف دينا كيوان⁽¹⁸⁾، في كتابها الرائد الحرية الأكاديمية وإنتاج المعرفة عبر الحدود الوطنية، عن صورة معقدة لخلق الحرية الأكاديمية الذي يتجاوز الانقسام بين الشمال والجنوب تحت تأثير إنتاج المعرفة العابر للحدود الوطنية، بناءً على تحليل أجوبة الأشخاص الذين أجرت معهم مقابلات أساساً من أربع دول: المملكة المتحدة، والولايات المتحدة، ولبنان، والإمارات العربية المتحدة.

وتدور مناقشات جدلية مستمرة حول تعارض مبادئ الحرية الأكاديمية مع مبادئ التنوع والإدماج Diversity and Inclusion. لقد بينت كيوان كيف اعتبر بعض فلاسفة التعليم، كإيمون كالان وسيجال بن بوراث وكذلك جوديث بتلر، أن الاندماجية هي شرط أساسي للحرية الأكاديمية أو، في الواقع، "شرط مسبق" للحرية الأكاديمية. وهذه الشروط المسبقة هي وسيلة لحل السجلات، ولكنها أصبحت مسببة بين المواقف اليمينية المحافظة واليسارية الليبرالية (أو الليبرالية الرمزية). تدافع المحافظة اليمينية عن الحجج المؤيدة للحرية الأكاديمية، في حين ينظر اليسار إلى هذه الحجج على أنها محاولات مخادعة لاستخدام الحرية الأكاديمية سلاحاً ضد المعرفة المدمجة Inclusive Knowledge. وتعتبر كيوان أن عمليات تحريم المعرفة وإضفاء الشرعية عليها تتم من خلال عمليات النشر العابرة للحدود الوطنية وطرائق انتشارها. ويحدث هذا على مستوى الباحثين الفرديين الذين يحاولون نشر أعمالهم و/ أو يتم منعهم من إلقاء محاضرات بصفة ضيوف⁽¹⁹⁾.

ثانيًا: الولايات المتحدة: موضوعات التعصب في الأكاديميا

وفي حالة الولايات المتحدة، بيّنت الإحصائيات التي قدمتها مؤسسة الحقوق الفردية وحرية التعبير FIRE أن 149 من الأساتذة الجامعيين جرى استهدافهم بسبب التعبير عن آرائهم عام 2022 (مقابل 30 في عام 2015)، فقد تعرضوا للتنبيه والتحقيق والإيقاف عن العمل والعزل؛ بسبب قضايا ساخنة مثل التحزب السياسي (25 في المئة من الحوادث)، والجندر (23 في المئة)، والإدلاء بآرائهم في السياسات المؤسسية (25 في المئة)⁽²⁰⁾. ووفقاً لمؤسسة الحقوق الفردية وحرية التعبير، فإن ثلثي هذه العقوبات يأتي من محتجين أكثر يسارية

التعبير، والثانية حول أهمية استقلالية الأكاديميا، والثالثة حول التوتر بين هذه الحرية و"التنوع والإنصاف والإدماج" EDI حول القضية الأولى، هناك اختلافات بين حرية التعبير والحرية الأكاديمية. وهذه الأخيرة هي في الواقع أكثر تطلّباً للمسؤولية الاجتماعية والنزاهة الفكرية. إن ما يمكن أن يكتبه الأستاذ أو يختاره من قراءات للتدريس أو يقوله في الفصل الدراسي يجب أن يتم تأطيره من خلال هذين المبدئين، في حين أنه، عمومًا، يمكن أن ينطق الشخص العادي بحرية أكبر في المجالين الخاص والعام. حول المبدأ الأول، كتب مؤسس الرابطة الأميركية لأساتذة الجامعات AAUP، ألكسندر ميكليجون، ذات مرة: "مسؤوليتنا النهائية، بصفتنا علماء ومدرسين، ليست تجاه الحقيقة، بل للأشخاص الذين يحتاجون هذه الحقيقة"⁽¹⁴⁾. ولمراعاة ذلك، وضع ستانلي فيش⁽¹⁵⁾ الاحتراف Professionalism في قلب الحرية الأكاديمية. وغني عن القول إنه غالبًا ما يكون من الصعب جدًا صياغة استثناءات للمبادئ العامة لحرية التعبير. فخطاب الكراهية هو صنف ليس له تعريف قانوني ثابت، وأدعو إلى التعامل معه اجتماعيًا وسياقيًا أكثر من التعامل معه قانونيًا (ينظر خاتمة الدراسة). لا تتعلق الحرية الأكاديمية بالفصل الدراسي، بل تتعلق بخارج الحرم الجامعي أيضًا. لقد أكد رولاند دوركين⁽¹⁶⁾ أهمية هذه النشاطات، حتى إنه ساوى بين النشاطات المسيّسة والواجب المدني للأكاديمي. في حين أن مبدأ النزاهة الفكرية يرتبط بكيفية تقييم الأقران لقوة البحث، فإن مبدأ المسؤولية الاجتماعية أشد تعقيدًا لأنه يتطلب مداولات أخلاقية من أجل تقييم البيان.

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية، أرى أن الحرية الأكاديمية مهددة بسبب الافتقار إلى الاستقلالية في مؤسسات التعليم العالي. تاريخيًا، قد نقول إن التهديد الكبير في الشمال العالمي يأتي غالبًا من الجهات المانحة، خاصة في الجامعات الإدارية، بينما يأتي في الجنوب العالمي من الحكومة وبدرجة أقل من المجموعات المحافظة. ومع ذلك، تكون الصورة أشد تعقيدًا عندما تمتاز التقاليد المختلفة (الهمبولدية والناپليونية والتسيرية Managerial) وليس لدينا سوى القليل من الأدلة على أن العامل الرئيس يتعلق بوجود علاقة مباشرة بين نوع الممولين (الخاص مقابل العام) ومدى الاستقلالية⁽¹⁷⁾، ولكن لدينا المزيد من الأدلة على كيفية تأثير الاستقلالية بنوع النخبة (ليبرالية، محافظة، ليبرالية رمزية)

14 Russell Kirk, *Academic Freedom: An Essay in Definition* (Chicago: Henry Regnery Company, 1955), p. 31.

15 Stanley Fish, *Versions of Academic Freedom: From Professionalism to Revolution* (Chicago, IL: The University of Chicago Press, 2014).

16 Roland Dworkin, "We Need a New Interpretation of Academic Freedom," in: Louis Menand (ed.), *The Future of Academic Freedom* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 1998).

18 Kiwan.

19 Ibid., p. 137.

20 "Free Speech Makes Free People," *Fire*, accessed on 22/9/2023, at: <https://tinyurl.com/4zuexeer>; "Report: At Least 111 Professors Targeted for their Speech in 2021," *Fire*, 2/3/2022, accessed on 22/9/2023, at: <https://tinyurl.com/44yrdzfz5>

الجدول (1)

حوادث إلغاء الدعوات بحسب نوع المدرسة ومصدر الاحتجاج

نوع المدرسة	من يسار المتحدث	من يمين المتحدث	غير متوافر	المجموع	(% من المجموع الكلي)
عمومية	187	54	12	253	44
دينية	56	70	6	132	23
علمانية	148	31	10	189	33
المجموع الكلي	391	155	28	574	100

المصدر: إعداد الباحث استنادًا إلى قاعدة بيانات FIRE، شوهد في 2023/7/23، في: <https://bit.ly/4d5ZQQQ>

عينة طلاب الجامعات على أن المناخ في الحرم الجامعي يمنع الطلاب من قول قضايا يؤمنون بها. وما يقرب من 70 في المئة من الطلاب يفضلون الإبلاغ عن الأساتذة إذا تناولوا موضوعًا مسيئًا من وجهة نظرهم [...]، وفقًا لاستطلاع أجره معهد تشالي للابتكار العالمي".

لقد أوردت هذا الاقتباس الطويل، لأبين أن التعصب وعدم التسامح في النقاش ليس بالضرورة مفروضًا من أعلى، ولكنه أيضًا "شعبي". ولإظهار شعبيته بصفة أوضح، سأحدث عن حوادث إلغاء الدعوة.

حوادث إلغاء الدعوة

تُعرّف مؤسسة الحقوق الفردية وحرية التعبير مصطلح "حادثة إلغاء الدعوة" بأنها "الخلافات في الحرم الجامعي التي تنشأ على مدار العام عندما تطالب شرائح من مجتمع الحرم الجامعي بعدم السماح للمتحدث المدعو بالتحدث، بدلًا من مجرد التعبير عن عدم الاتفاق مع المتحدث المدعو أو حتى الاحتجاج على وجهات نظره أو مواقفه (داخل المحاضرة)". وتفرق هذه المؤسسة بين محاولة فرض رقابة على المتحدث والنتيجة النهائية الفعلية المتمثلة في عدم التحدث. يمكن أن تشمل حوادث إلغاء الدعوة هذه "محاولات غير ناجحة لإلغاء الدعوة" (مثل الصراخ على المتحدثين وتخويفهم ولكن لن ينتج ذلك منهم من التحدث)⁽²⁵⁾. في أواخر عام 2023، أبلغت هذه المؤسسة في قاعدة بياناتها عما لا يقل عن 574 حملة إلغاء دعوة منذ عام 2000 في جميع أنواع مؤسسات التعليم العالي (الحكومية (44 في المئة)، العلمانية (23 في المئة) أو الدينية (22 في المئة)). ما يقرب من 60 في المئة من هذه الحوادث كانت ناجحة وينتمي أكثر من ثلثي المحتجين إلى اتجاهات أكثر يسارية من المتحدثين المستهدفين (ينظر الجدولان 1 و2). ونلاحظ في الفترة 2001-2022 أن عدد حملات إلغاء الدعوة كان مضرّوبًا بعشرة (من 4 إلى 42) (ينظر الشكل). وبطبيعة الحال،

ممن هو مستهدف بالعقوبة⁽²¹⁾. ويمكن ملاحظة الاتجاه نفسه في بيانات الرابطة الوطنية للعلماء NAS التي تحتفظ بقاعدة بيانات للأكاديميين الأميركيين الذين شهدوا حملات تطالب بإقالتهم. تسجل هذه القاعدة 4 حوادث في عامي 2015 و2016، و9 في عام 2017، و13 في عام 2018، و12 في عام 2019، و65 حادثًا في عام 2020⁽²²⁾.

لدينا الكثير من الأدلة على أن مناخ الاستقطاب المخيف هذا يعكس الرأي العام للطلاب وأعضاء هيئة التدريس. وأوضح بانو كانيولوس⁽²³⁾، رئيس جامعة أوستن، في إشارة إلى دراسة استقصائية أجريت في الولايات المتحدة، أن "ما يقرب من ربع الأكاديميين الأميركيين في العلوم الاجتماعية أو الإنسانية يؤيدون طرد زميل له رأي خاطئ حول القضايا الساخنة مثل الهجرة أو الاختلافات بين الجنسين. يقول أكثر من ثلث الأكاديميين وطلاب الدكتوراه الذين يعبرون عن آراء اجتماعية أو سياسية غير مرغوب فيها إنهم تعرضوا للتهديد باتخاذ إجراءات تأديبية بسبب مناصبهم. وهناك 80 في المئة من طلاب الدكتوراه الأميركيين على استعداد للتمييز ضد الباحثين الذين يتبنون وجهة نظر الأقلية [...] الصورة بين الطلاب الجامعيين في المرحلة الأولى أكثر قتامة⁽²⁴⁾ [...] في استطلاع للرأي في الحرم الجامعي لعام 2020 الذي أجرته أكاديمية هيتيرودوكس Heterodox، وافق 62 في المئة من

21 "Free Speech Makes Free People;" "Report: At Least 111 Professors Targeted for their Speech in 2021."

بالطبع، قد تتضمن بعض هذه الحوادث عنصرية صارخة، وأنا لا أعتبر أن مؤسسة FIRE تقدم تفسيرًا كاملاً، لكن هناك منظمات أخرى، مثل الرابطة الأميركية لأساتذة الجامعات أو تحالف كورنيل للتحدث الحر، تؤكد تزايد ظاهرة إلغاء الثقافة بصفة عامة.

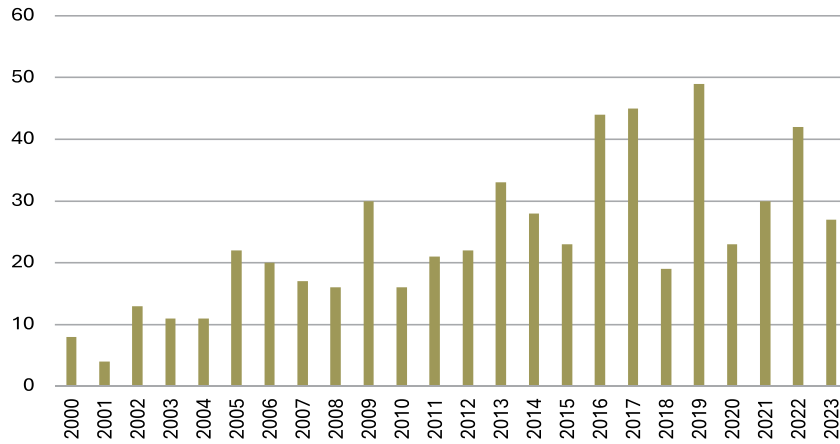
22 Eric Kaufmann, "Academic Freedom in Crisis: Punishment, Political Discrimination, and Self-Censorship," *CSPi Report*, Center for the Study of Partisanship and Ideology (2021), accessed on 30/12/2023, at: <https://bit.ly/3zWT0yH>

23 Pano Kanelos, "We Can't Wait for Universities to Fix Themselves - Common Sense," *Cornell Free Speech Alliance*, 8/11/2021, accessed on 29/7/2023, at: <https://bit.ly/3ybIva8>

25 "User's Guide to FIRE's Campus Disinvitation Database," *Fire*, accessed on 23/2/2024, at: <https://bit.ly/4d5ZQQQ>

24 للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة ينظر: Kaufmann.

شكل يوضح حوادث إلغاء الدعوات سنوياً



المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى قاعدة بيانات FIRE، شوهد في 2024/2/23، في: <https://bit.ly/4d5ZQQQ>

المتحدة، كما نرى في الدراسات الاستقصائية في هذه البلدان⁽²⁶⁾، هما في ذلك التقارير الحكومية الرسمية⁽²⁷⁾، وحتى في جميع أنحاء العالم. في هذه المرحلة، أحدد كيفية قراءتي لهذه الأرقام باستخدام نقطتين ومثال:

أولاً، أنا أدرك أن مؤسسة الحقوق الفردية وحرية التعبير، ومركز دراسة الحزبية والأيديولوجية CSPI الذي كتب إريك كوفمان تقريره له، قريبان من المحافظين، وقد ينتجان هذه التقارير في إطار نهجها الليبريتاري تجاه الحرية الأكاديمية. لكن ليس لدينا قواعد بيانات وأرقام شاملة من مراكز غير حزبية. ومع ذلك، فإن الاتجاه الذي يصفونه يتوافق مع دراسات أخرى أجرتها مجموعات بحثية جادة مثل كتاب سكوت باومان وآخرين الإسلام في الحرم الجامعي: الهويات المتنازع عليها وثقافات التعليم العالي في بريطانيا⁽²⁸⁾، أو انتقادات ويندي براون⁽²⁹⁾ لمؤسسة الحقوق الفردية وحرية التعبير ومركز دراسة الحزبية والأيديولوجية حصرياً، لإظهار اتجاه واضح

نتوقع أن يكون الرقم أعلى من ذلك كثيراً، فقد ذكر بعض من أجريت معهم المقابلات أنهم يمتنعون عن دعوة الضيوف بشأن القضايا المثيرة للجدل خوفاً من حظر الإدارة لمثل هذه الحملات.

الجدول (2)

حوادث إلغاء الدعوات بحسب مصدره الاحتجاج

العدد	%	
391	68	من يسار المتحدث
153	27	من يمين المتحدث
28		غير متوافر
572	100	المجموع الكلي

المصدر: المرجع نفسه.

ومن بين موضوعات حوادث إلغاء الدعوات في الجامعات الأميركية نذكر الصراع العربي- الإسرائيلي، بحجة حماية "حساسيات" بعض الطلبة عند تناول بعض المسائل من دون ذكر هوية المحتجين؛ ومن ثم فهم يتجاهلون آخرين كثيراً لم تتأذ مشاعرهم.

وبتعميم أكثر، فإن مشكلة عدم التسامح مع النقاش لا تهم الولايات المتحدة فحسب، بل تهم أيضاً دولاً مثل كندا وبدرجة أقل المملكة

26 Kaufmann.

27 Remi Adekoya, Eric Kaufmann & Thomas Simpson, "Academic Freedom in the UK," *Policy Exchange* (2020), accessed on 23/7/2023, at: <https://bit.ly/3y8rC04>

28 Alison Scott-Baumann et al., *Islam on Campus: Contested Identities and the Cultures of Higher Education in Britain* (Oxford: Oxford University Press, 2020).

29 Wendy Brown, "Moralism as Antipolitics," in: Russ Castronovo & Dana D. Nelson (eds.), *Materializing Democracy: Toward a Revitalized Cultural Politics* (Durham/ London: Duke University Press Books, 2002), pp. 368-392.

شائع في جامعات أخرى. ففي جامعة أكسفورد، احتاجت البروفيسورة الفيلسوفة كاثلين ستوك Kathleen Stock، وهي نسوية ناقدة للجندر والتي طردها من وظيفتها في جامعة ساسيكس نشاط المتحولين جنسيًا، إلى الأمن من أجل أن تتمكن من التحدث في اتحاد أكسفورد Oxford Union ورغم ذلك جرى تعطيل مشاركتها. وأيضًا، حينما تمت دعوة الدكتورة هيلين جويس، الأكاديمية والصحافية الإيرلندية، للتحدث في كلية غونفيل أند كايبوس (كامبريدج-المملكة المتحدة) في 25 تشرين الأول/أكتوبر 2022، انتقد الإداريون هناك دعوتها، واصفين آراءها بأنها "كارهة لمجتمعنا"⁽³²⁾. ومن ثم، لا يمكن أن يدعي المرء أن منع هؤلاء المتحدثين مهم لموازنة بنية السلطة بين مجموعة قوية (مثل المحافظين في بعض البلدان) ومجموعة مهمشة (اليسار)؛ لأن هؤلاء المتحدثين غالبًا ما يأتون من اليسار ولكن لديهم فهم محدد للنسوية. ولهذا السبب أدعو إلى ما أسميه علم الاجتماع الحوارية⁽³³⁾ لمناقشة هذه المسائل المثيرة للجدل مثل الهوية الجندرية مقابل الهوية الجنسية، والمساهمة استراتيجيًا في دفع تبني التصور المجرد لمفهوم العدالة في مجتمع معين (مثلًا عدم التمييز في حق مجتمع الميم) وتسهيل النقاش حول تدافع منظورات الخير (مثلًا شكل المثلية في الفضاء العام، وكيف يحلّ مجتمع ما اختلافات بين فئات تتعامل مع مفهوم حرية الجسد بطرائق مختلفة).

ثالثًا: فرنسا: التعصب بين الديكولوجيالية والكولونيالية

بالنسبة إلى فرنسا، أودّ التركيز على نوع معين من التعصب، وأظهر بعض تناقضات فيما يتعلق بالحرية الأكاديمية. لقد انتشر في فرنسا، كما في دول غربية أخرى، تعصب في اتجاه مسار التحرر من الاستعمار⁽³⁴⁾ (الدكولوجيالية) في العلوم الاجتماعية. نحن نعرف أن أدبيات كثيرة قد

في الأوساط الأكاديمية لتقييد الحرية الأكاديمية. لكنني أدرك أن حوادث إلغاء المحاضرات يجب تقييم مضمونها دائمًا، باعتبارها جزءًا من التعصب المجتمعي الذي ينفذه كل من الليبراليين الرمزيين أو اليمين الشعبوي (اختزال المناقشات حول تعددية مفهوم الخير في مفهوم واحد مهيمن للخير) أو مجرد إجراء ضروري لمنع العنصرية والتمييز. وغني عن القول إنني لا أعتبر منهجيًا أن حوادث إلغاء المحاضرات غير أخلاقية بالضرورة. إن إدانة السياسيين الذين لديهم مسيرة مهنية طويلة في دعم الحروب يمكن أن يكون لها ما يبررها. وينبغي للجامعات أن تظل موقفًا للاحتجاجات والمناقشات المفتوحة والخلافات حول سياسات السلطات المهيمنة، كما كانت الحال منذ حرب فيتنام إلى نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا والحرب على العراق. ومع ذلك، فإن العديد من الأمثلة الأخرى التي رأيتهما تتناسب، إلى حد ما، مع تعريف إلغاء الثقافة والتعصب المجتمعي. ولتوضيح ذلك يمكن تقديم العديد من الأمثلة، ولكن اسمحوا لي هنا أن أعطي مثالًا من جامعتي، الجامعة الأمريكية في بيروت، لتبسيط الضوء على صعوبة مناقشة القضايا المثيرة للجدل في الأوساط الأكاديمية.

ففي السابع من شباط/فبراير 2023، قام بشار حيدر أستاذ الفلسفة في الجامعة الأمريكية في بيروت بدعوة هولي لوفورد-سميث Holly Lawford-Smith الناشطة النسائية وأستاذة الفلسفة بجامعة ملبورن لتقديم كتابها **النسوية الناقدة للجندر**⁽³⁰⁾. وقد استعمل نادي الجندر والجنسانية الباب التاسع من قوانين الجامعة (أي مكافحة التمييز ووفقًا لسياسة التنوع والإنصاف والإدماج DEI) للدعوة لإلغاء الندوة؛ وقد أثار مسؤول في الجامعة بصفة غير رسمية الخشية من أن مثل هذه الندوة ستعرض تمويل الوكالة الأميركية للتنمية الدولية للجامعة الأميركية للخطر. وفي الأسبوع التالي، بعد فشل إيقاف هذه الدعوة، أصدر النادي ومنظمات طلابية شريكة له بيانًا استعرض منه بعض المقتطفات: "وفقًا لقيم ومبادئ النادي والباب التاسع [...] ندين هذه الندوة والمحاضرة كما نستنكر أي رأي أو تصريح يسيء إلى مجتمع الميم وخاصة جماعة المتحولين جنسيًا [...] حقوق المتحولين جنسيًا هي بمنزلة حقوق الإنسان ليس لأي كان الحق في مناقشة شرعية وجودهم"⁽³¹⁾.

أريد تبسيط الضوء على الجملة الأخيرة حيث إن كتاب لوفورد-سميث لا يشكك في شرعية وجود الأشخاص المتحولين جنسيًا، ولكنه يشير إلى تضارب حقوقهم مع مجموعات ذات ميول جنسية أخرى. إن عدم التسامح مع سماع تلونات مختلفة من الحركة النسوية أمر

32 "EDI and Free Speech at Universities," *Alumny for Free Speech*, accessed on 14/2/2024, at: <https://bit.ly/4fjvLPm>

33 حنفي، "نحو علم اجتماع حوارية".

34 لا يتعلق الموضوع بجغرافية النشر والتنظير المركزي الغربي فحسب، بل بالبيانات التي تدعي الكونية أيضًا، وهي لا تزال مستمدة من الدول الصناعية الغربية. يوضح توماس بولت وتامسين ساكستون، على سبيل المثال، أن في بعض مجلات علم النفس، أجري 91 في المئة من الأبحاث في أوساط غربية ومتعلمة وصناعية وغنية وديمقراطية تضم 12 في المئة من سكان العالم فحسب. ينظر:

Thomas V. Pollet & Tamsin K. Saxton, "How Diverse are the Samples Used in the Journals 'Evolution & Human Behavior' and 'Evolutionary Psychology'?" *Evolutionary Psychological Science*, vol. 5, no. 3 (2019), pp. 357-368.

30 Holly Lawford-Smith, *Gender-Critical Feminism* (Oxford: Oxford University Press, 2022).

31 "Gender & Sexuality Club," Instagram, 14/2/2024, accessed on 14/2/2024, at: <https://bit.ly/3yaXVLJ>

بالتفصيل⁽⁴⁰⁾. فمثلاً، أثر تسييس الجهات الحكومية للهوية الدينية (وخاصة في الخلط الخاطئ بين المحافظة الاجتماعية المتصورة والتطرف) في حرية التعبير بالجامعة، وقد اعتبروا أن في الطلاب هشاشة مثل رقاقات ثلج تذوب عند أي اتصال بقضية جدلية، أو إرهابيين ينشرون التطرف في الجامعة.

”
خلال الحرب على غزة، شهدنا صمتاً ممكناً
للإبادة الجماعية لغزة، ليس فقط على
المستوى السياسي، بل أيضاً بين القطاعين
الإعلامي والأكاديمي

رابعاً: غزة والحرية الأكاديمية تحت النار

خلال الحرب على غزة، شهدنا صمتاً ممكناً للإبادة الجماعية لغزة⁽⁴¹⁾، ليس فقط على المستوى السياسي، بل أيضاً بين القطاعين الإعلامي والأكاديمي. يمكننا أن نتحدث تقريباً عن انقسام داخل المجتمع الدولي: فالشمال العالمي، الذي يهيمن عليه اللوبي الإسرائيلي هيمنة كبيرة، انحاز في الغالب إلى التطهير العرقي والإبادة اللذين يمارسهما النظام الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني (ربما باستثناء إسبانيا وإسكتلندا وإيرلندا وبلجيكا)، في حين يؤيد الجنوب العالمي، بما في ذلك القوى ذات الوزن الثقيل مثل روسيا والصين وإيران، وقف إطلاق النار الدائم وعملية السلام.

وكانت المظاهرات المؤيدة لفلسطين هائلة في جميع المدن الكبرى تقريباً في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك في الغرب⁽⁴²⁾. هناك بعض

تناولت استمرارية الإرث الاستعماري في التعليم والأبحاث⁽³⁵⁾، ولكنها قوبلت باتخاذ مواقف متعصبة، من قبيل نعت هذه الدراسات بالعلوم الزائفة بدلاً من تناولها بطريقة نقدية وموضوعية⁽³⁶⁾. لم يحصل الكثير من الجدل، بل كان هناك اتخاذ للمواقف فحسب. وقد جرى توقيع عريضة ضمت 76 أكاديمياً وكاتباً وصحافياً ضد الديكولوجيا، وكذلك تأسيس مرصد الديكولوجيا عام 2023 وأصبح اسمه فيما بعد مرصد أيديولوجيات الهوية⁽³⁷⁾. ففي 7-8 كانون الثاني/ يناير 2022، انعقدت ورشة عمل بعنوان "ما بعد التفكير: إعادة بناء العلوم والثقافة"، نظّمها معهد الفلسفة بالسوربون ومرصد الديكولوجيا ولجنة العلمانية الجمهورية، وافتتحها وزير التربية الفرنسي جان-ميشال بلانكيه، أي إنها تحظى بدعم سياسي.

ويظهر التناقض في أن المشاركين أنفسهم في هذه الورشة قد وصفوا، قبل بضعة أشهر من عقد الندوة، تقرير منظمة العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش وبعض الباحثين الفرنسيين بأنهم معادون للسامية؛ لأنهم اعتبروا الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية تمييزاً عنصرياً⁽³⁸⁾. وفي وقت لاحق، جرى نعتهم بأنهم "يسار موصوم بأنه إسلامي"، وتعرضوا لحملة عنيفة شنتها الحكومة ووسائل الإعلام الرئيسية، مستخدمة في ذلك أكاديميين، مثل جيل كيبييل Gilles Kepel، وفلورنس برجو بلاكلير Florence Bergeaud-Blackler⁽³⁹⁾. وقد حاولت ألمانيا وبلجيكا، ودول أوروبية أخرى، تقليد فرنسا بطريقة أقل فظاظاً، ولكن بلا فاعلية. وضمن هذه الحملة نلاحظ تنامي نشاط الليبراليين الرمزيين، ليبلغ ذروته أخيراً في الجدل حول الحرب على غزة. ومع ذلك، في المملكة المتحدة، لقد كانت إجراءات مكافحة التطرف الحالية المعروفة باسم "المنع" Prevent، فعالة؛ حيث تم تنفيذها في جامعات خنقت فيها الحرية الأكاديمية، كما ناقشوها

35 ينظر مثلاً:

Anibal Quijano, "Paradoxes of Modernity in Latin America," *International Journal of Politics, Culture, and Society*, vol. 3, no. 2 (1989), pp. 147-177; Stéphane Dufoix, *Décolonial* (Paris: Anamosa, 2023); Gurminder K. Bhambra & John Holmwood, *Colonialism & Modern Social Theory* (Cambridge/ Medford, MA: Polity press, 2021).

36 ينظر: ساري حنفي، "السوسيولوجيا الكونية: نحو اتجاهات جديدة"، إضافات، العدد 45 (2018)، ص 7-25.

37 "Observatoire des idéologies identitaires," *Décolonialisme*, accessed on 22/10/2023, at: <https://tinyurl.com/bdcmpae9>

38 "Antisémitisme: La question Israélo-Palestinienne ne doit pas être l'exutoire des passions primaires," *Le Monde*, 3/9/2021, accessed on 1/10/2023, at: <https://bit.ly/46y3K1c>

39 Sonya Faure & Frantz Durupt, "Islamisme-gauchisme, aux origines d'une expression médiatique," *Libération*, 14/4/2016, accessed on 22/9/2023, at: <https://tinyurl.com/yrzp7789>

40 Scott-Baumann et al.

41 للوقوف على تحليلي الكامل لاعتبار الحرب على غزة إبادة جماعية، ينظر: ساري حنفي، "الحرب على غزة: من الإبادة المكانية إلى الإبادة الجماعية"، ترجمة علاء بريك هندي، صفر، 2023/11/3، شوهد في 2023/11/23، في: <https://bit.ly/46fMOOI>

42 تزايدت هذه المظاهرات كثيراً في أعقاب القصف الإسرائيلي للمستشفى الأهلي العربي في غزة - الذي تأسس عام 1882 وتديره الكنيسة الأنغليكانية - مما أدى إلى مقتل ما يقرب من 500 فلسطيني؛ ما أثار غضباً عالمياً بسبب ذبح الناس، الذين كان الكثير منهم يحتفون من القصف الإسرائيلي المستمر على غزة - الجيب المحاصر - وعلى الرغم من التحقيق المستقل. ينظر:

"Investigations Reveal Discrepancies in Israel's Gaza Hospital Attack Claims," *Al Jazeera*, 20/10/2023, accessed on 24/10/2023, at: <https://bit.ly/3Ykz4zN>
بما في ذلك المقالات الأخيرة من صحيفة واشنطن بوست وصحيفة ليبراسيون الفرنسية، رددت بعض وسائل الإعلام والسياسيين الغربيين الكذبة الإسرائيلية القائلة بأن الانفجار لم يأت منهم

مجال دراسات الإبادة الجماعية بزيادة الاستقطاب والحزبية، بينما تتولى العديد من الدول الديمقراطية في الوقت نفسه دور المشارك والمنكر. وهو يرى أن هذا يشكل ضربة خطيرة للغاية لمسعى منع الإبادة الجماعية⁽⁴⁶⁾.

فيما يلي، أقدم أربعة عوامل يمكن أن تفسر الموقف الإسرائيلي الغربي المؤيد للإبادة الجماعية، وهي: الاستغلال المفرط لذكرى المحرقة أو غسل الذنب، وفكرة أن إسرائيل بصفتها دولة علمانية لا يمكنها أن ترتكب أي خطأ، والإسلاموفوبيا بما في ذلك صورة حماس بصفتها منظمة متعصبة وليست حركة تحرير وطنية، وأخيرًا الإرث الاستعماري الأوروبي - الأمريكي. وبطبيعة الحال، هناك أيضًا عوامل أخرى، من وجهة نظري تؤدي أدوارًا أقل أهمية، مثل مدى أهمية إسرائيل بالنسبة إلى المركب الصناعي العسكري الغربي. في الولايات المتحدة، الغالبية العظمى من المساعدات العسكرية لا تغادر واشنطن أبدًا، بل تذهب مباشرة إلى خزائن شركات الأسلحة، ويرتبط حجم كل هذه المبيعات والمشتريات جميعها مباشرةً بالمساعدات العسكرية لإسرائيل. إن إسرائيل هي حرفيًا أساس الاقتصاد العسكري الواسع النطاق الذي يعزز القوة الساحقة لما أطلق عليه الاقتصاديان الإسرائيليان جوناثان نيتسان وشمشون بيشلر تحالف دولار الأسلحة والبترو دولار Weapon-dollar-Petro-dollar⁽⁴⁷⁾. يمكننا أيضًا أن نذكر عاملًا دينيًا يتمثل في كيفية تطبيق أهداف الكتاب المقدس، خاصة بين بعض الإنجيليين.

1. الاستغلال المفرط لذكرى المحرقة أو غسل الذنب

نظرًا إلى العواقب التاريخية لإبادة ملايين اليهود في الحرب العالمية الثانية، فإن معاداة السامية المروعة تشكل ظاهرة اجتماعية خطيرة تتطلب مكافحتها بكل الوسائل. وتشير معاداة السامية إلى "نظريات المؤامرة البغيضة حول سيطرة اليهود على وسائل الإعلام والتمويل والحكومات، واتهامات تشهير الدم، وخطاب إنكار الهولوكوست، والرسوم الكاريكاتورية المهينة لليهود"⁽⁴⁸⁾. ومع ذلك، فإن التعريف العملي للتحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة

الدول الغربية، خاصة ألمانيا وفرنسا، لا تدعم المشروع الاستعماري الإسرائيلي فحسب، بل تحظر أيضًا أي مظاهرات ضد الإبادة الجماعية، وتحظر الأعلام الفلسطينية والكوفيات، معتبرين أنه من معاداة السامية إلزام إسرائيل بالمسؤولية الإنسانية الدولية.

وهذا لا يهم فقط الساسة الذين يهتمون بمجموعات المصالح الضرورية لتمويلهم وإعادة انتخابهم، بل يهم أيضًا وسائل الإعلام والأوساط الأكاديمية. اليوم، يمكننا أن نقرأ في صحيفة هآرتس انتقادات أكثر للإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزة مقارنة بالصحف الأميركية أو الكندية أو الأوروبية، حتى إن بعض علماء الاجتماع الإسرائيليين ينتقدون الانتهاك الإسرائيلي للقوانين الدولية أكثر من الجمعيات الأكاديمية الأخرى في أوروبا⁽⁴³⁾. وفي المفارقات التاريخية، نتذكر كيف أصدر القاضي الشهير روبرت بادينتر بحق إلغاء عقوبة الإعدام في فرنسا عام 1981، بينما اليوم هو⁽⁴⁴⁾ وزوجته، إيلزابيث بادينتر، الفيلسوفة والناشطة نسوية، يؤيدان عقوبة الإعدام الجماعية ضد الشعب في غزة.

وغني عن القول إن هناك في الغرب العديد من العلماء الشرفاء والمدافعين عن حقوق الإنسان، مثل كريج مخير، مدير مكتب نيويورك لمفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، الذي استقال في 31 تشرين الأول/أكتوبر 2023، بخطاب استقالة لاذع، انتقد فيه تواطؤ الأمم المتحدة والغرب في الانتهاكات الإسرائيلية. ونحن نشهد أيضًا كيف يتظاهر طلاب الجامعات دعمًا قويًا لنضال الشعب الفلسطيني. وعلى مدى الأشهر القليلة الماضية، رأينا الآلاف من العلماء والكتاب الغربيين يدينون الحرب على غزة ويدعون إلى إنهاء الاحتلال، على الرغم من مطاردة الساحرات التي قام بها اللوبي الإسرائيلي وحلفاؤه منذ 7 تشرين الأول/أكتوبر. في هذه الديمقراطيات الليبرالية، مثل المملكة المتحدة وفرنسا وكندا وألمانيا، يمكن اعتبار الباحث الذي ينشر ضد الإبادة الجماعية على فيسبوك وتويتر مدافعًا عن الإرهاب. فعلى سبيل المثال، وقّع حوالي 1557 من القانونيين والعلماء الفرنسيين بيان "الدفاع عن حرية التعبير في فلسطين: قضية أكاديمية"⁽⁴⁵⁾. ويوضح عبد الوهاب الأفندي أن الانقسام أشد تعقيدًا من الشمال/الجنوب، عندما يدرس كيف تأثر

46 Abdelwahab El-Affendi, "Gaza and the Dilemmas of Genocide Scholars," *Al Jazeera*, 3/2/2024, accessed on 4/2/2024, at: <https://bit.ly/4feB2rv>

47 Jonathan Nitzan & Shimshon Bichler, *The Global Political Economy of Israel* (London: Pluto Press, 2002).

48 "Letter to Max Planck Society Regarding Professor Ghassan Hage," British Society for Middle Eastern Studies (BRISMES), 13/2/2024, accessed on 13/2/2024, at: <https://bit.ly/3YjqJwe>

43 Lev Grinberg "Israeli-Palestinian Murderous Escalation in Context," *Global Dialogue*, 9/2/2024, accessed on 10/2/2024, at: <https://bit.ly/3LD2FNp>

44 Christophe Oberlin "Cour Pénale Internationale: Face aux Palestiniens, Badinter défend Netanyahu," *le Club de Mediapart*, 20/2/2020, accessed on 24/12/2023, at: <https://bit.ly/3yaLYWo>

45 "Défendre les libertés d'expression sur la Palestine: Un enjeu académique," accessed on 2/2/2024, at: <https://bit.ly/3WlnzFN>

والفنانين اليهود رسالة مفتوحة يجادلون فيها بأن كل الانتقادات الموجهة إلى إسرائيل ليست معادية للسامية بطبيعتها⁽⁵²⁾.

يتتبع عالم السياسة الإسرائيلي، نيف جوردون، تحول معاداة السامية من معناها التقليدي إلى "معاداة السامية الجديدة". ويمكن صياغة المنطق الأخير على أنه قياس منطقي: 1. معاداة السامية هي كراهية اليهود، 2. أن تكون يهوديًا يعني أن تكون صهيونيًا، 3. ومن ثم فإن معاداة الصهيونية هي معاداة للسامية. ويتعلق الخطأ بالنسبة إليه بالطرح الثاني الذي سيفتح الباب أمام منع أي انتقاد للممارسات الاستعمارية الإسرائيلية⁽⁵³⁾. وهذا مثال على استخدام التحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة؛ فقد نشرت وزيرة الدولة البريطانية للعلوم والابتكار والتكنولوجيا، ميشيل دونيلان، في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر 2023، رسالة مفتوحة إلى هيئة البحث والابتكار في المملكة المتحدة UKRI، وهي مؤسسة مستقلة وهيئة التمويل العام التي توجه البحث الأكاديمي. وهاجمت دونيلان في تقريرها العديد من الأكاديميين الذين عينتهم الهيئة، مشيرة إلى "آرائهم المتطرفة على وسائل التواصل الاجتماعي"، والتي قالت إنها تتضمن إشارات إلى الإبادة الجماعية والفصل العنصري. فأطلقت هيئة البحث على الفور تحقيقًا، ووعدت "بإجراء سريع وقوي". ورد أكثر من 3000 أكاديمي بتوقيع رسالة مفتوحة إلى الهيئة تشير إلى "الموجة الحالية من القمع ومحاولات الرقابة التي تقودها الحكومة ضد التعبير القانوني عن التضامن مع الفلسطينيين وانتقادات القصف العنيف الذي يشنه الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر"⁽⁵⁴⁾.

أما فيما يتعلق بألمانيا، فقد بدأت عمليات مطاردة العلماء الذين ينتقدون إسرائيل في أواخر التسعينيات، بما في ذلك حوادث وحملات إلغاء الدعوة. عارضت وسائل الإعلام مشاركة الفيلسوف الكمروني، أشيل ميمبي، في المهرجان الدولي للفنون في مدينة الرور

IHRA وأمثلته التوضيحية⁽⁴⁹⁾ أصبح أداة أساسية لعمل اللجنة في معالجة معاداة السامية في العديد من الدول الغربية. يخلط هذا التعريف بين معاداة السامية ومعاداة الصهيونية، فضلًا عن انتقاد الإجراءات والسياسات الإسرائيلية، بما في ذلك الحملات التي تحمل الحكومة الإسرائيلية المسؤولية أمام القانون الدولي، مثل حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS أو جعلها معادية للسامية من أجل إجراء مقارنات بين السياسة الإسرائيلية المعاصرة وسياسة النازيين. ورغم أن هذا التعريف غير ملزم قانونًا، فإنه استُخدم بصفة قانونية، وهو بالتأكيد وسيلة لاستخدام معاداة السامية سلاحًا.

وقد حذر مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، تينداي أشيومي، من استخدام تعريف التحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة "بسبب قابليته للاستغلال سياسيًا والضرر الذي يلحق بحقوق الإنسان نتيجة لهذا الاستخدام". وفي السياق نفسه، أظهر مركز الدعم القانوني الأوروبي والجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط BRISMES في تقرير صدر عام 2023 أن "هناك اتفاقًا واسع النطاق بين الباحثين في مجال الإبادة الجماعية والخبراء القانونيين (بما في ذلك أحد الصائغين الرئيسيين لتعريف التحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة، كينيث سترن)". وأنه تعريف غير مناسب للأوساط الأكاديمية، حيث يكون للفكر النقدي والنقاش الحر أهمية قصوى. ويعرض التقرير أدلة مستندة إلى حالات تتعلق بانتهاكات الحقوق الأساسية للموظفين والطلاب الناجمة عن تنفيذ تعريف التحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة. ويتم دعم الأدلة بـ 40 حالة موثقة في 14 جامعة بريطانية، تتضمن مزاعم بمعاداة السامية استندت إلى تعريف التحالف الدولي. لمواجهة تعريف التحالف الدولي على وجه التحديد، تمّت صياغة "إعلان القدس لمعاداة السامية" لعام 2020⁽⁵⁰⁾، من جانب غالبية علماء الإبادة الجماعية يعتقدون أنه غير مناسب للغرض⁽⁵¹⁾. وحتى في الآونة الأخيرة، وقّع مئات من العلماء والكتاب

52 "All Criticism of Israel Is Not Inherently Anti-Semitic": An Open Letter from Jewish Writers," *The Wire*, 6/11/2023, accessed on 24/12/2023, at: <https://bit.ly/3zOEE39>

53 Neve Gordon, "On Antisemitism and Human Rights," *The International Journal of Human Rights*, vol. 28, no. 4 (2024), pp. 1-20.

54 Mick Hall, "Academic Freedom Under Fire as Gaza Burns," *Consortium News*, 3/12/2023, accessed on 24/12/2023, at: <https://bit.ly/4c2QLXQ>
ينظر أيضًا، في هذا المقال مليك هول، المزيد من الأمثلة من الرقابة النيوزيلندية حول التضامن الأخير مع الشعب الفلسطيني.

49 "Working Definition of Antisemitism," *Working Definitions & Charters*, International Holocaust Remembrance Alliance (IHRA), 26/5/2016, accessed on 24/12/2023, at: <https://bit.ly/4c2Kjir>

50 "The Jerusalem Declaration on Antisemitism," *JDA*, 2020, accessed on 24/12/2023, at: <https://jerusalemdeclaration.org/>

51 "Letter to Max Planck Society Regarding Professor Ghassan Hage."

في غزة. من خلال دراسة الرد الألماني على عمليات القتل الجماعي في كمبوديا ورواندا والبلقان، يشير بورت إلى أن المحرقة "ربما تكون قد أضعفت حساسية الألمان عن غير قصد". إن الاقتناع بأنهم تركوا العنصرية المسعورة لأسلافهم وراءهم ربما سمح لهم، على نحو متناقض، بالتعبير بلا خجل عن أشكال مختلفة من العنصرية.

وفي السياق نفسه، كان حميد دباشي على حق حينما عبّر عن ذلك بفصاحة: "يجب أن يُعْفَر لنا إذا اعتقدنا أن ما تعانيه ألمانيا اليوم لم يكن ذنب المحرقة، بل الحنين إلى الإبادة الجماعية، لقد انغمست ألمانيا بصفة غير مباشرة في المذبحة التي ارتكبتها إسرائيل ضد الفلسطينيين على مدى القرن الماضي (وليس فقط الـ 100 يوم الماضية)" (61). وفي هذا البلد، أُلغيت مؤخرًا بعض الجوائز (الروائية الفلسطينية عديّة شبلي، والصحافية والكاتبة اليهودية الروسية الأمريكية ماشا جيسن). لقد حصلت جيسن على جائزة حنة أرندت المرموقة للفكر السياسي، ولكنها أُلغيت بسبب تشبيهها غزة قبل 7 تشرين الأول/ أكتوبر بالأحياء اليهودية في أوروبا التي احتلها النازيون. وعلقت سامانثا هيل (62) بسخرية أن أرندت التي انتقدت دولة إسرائيل القومية منذ تأسيسها لن تكون مؤهلة للحصول على جائزة حنة أرندت في ألمانيا اليوم. وفي 14 كانون الأول/ ديسمبر 2023، احتلت مجموعة من طلاب جامعة برلين الحرة قاعة المحاضرات تضامنًا مع الشعب الفلسطيني. وتلقوا رسائل من الشرطة تخطرهم فيها بأن إدارة الجامعة وجهت إليهم اتهامات جنائية بتهمة "التعدي على ممتلكات الغير".

يشير عمر صبور إلى هذه الحادثة بأن "غسل الذنب Guiltwashing يميل في اتجاه معاداة السامية - وكذلك العنصرية المعادية للعرب والإسلاموفوبيا - لأنه يعمل على مستوى سطحي ولا يستوعب حقيقة دروس الماضي [...] وقد تبنت ألمانيا موقفًا تفاعليًا روبروتيًا، طائشًا، أحادي البعد. يجري الترويج لعبارة لن يحدث مرة أخرى أبدًا Never again بالمعنى الضيق - وهو أمر ليس مفاجئًا تمامًا، نظرًا إلى إهمال التعليم داخل ألمانيا لتدريس ماضيها الاستعماري والجماعات الأخرى التي كانت ضحية للنظام النازي. إنها ترفض قبول فكرة عدم تكرار الإبادة الجماعية مطلقًا مرة أخرى ضد أي شعب وليس فقط لليهود" (63).

61 Hamid Dabashi, "Thanks to Gaza, European Philosophy Has Been Exposed as Ethically Bankrupt," *Middle East Eye*, 18/1/2024, accessed on 24/1/2024, at: <https://bit.ly/3SjTO6Q>

62 Samantha Hill, "Hannah Arendt Would Not Qualify for the Hannah Arendt Prize in Germany Today," *The Guardian*, 12/12/2023, accessed on 24/12/2023, at: <https://bit.ly/3YhBMpL>

63 Omar Sabbour & Students for Palestine, "German Guiltwashing in Times of Genocide," *Aljazeera*, 27/2/2024, accessed on 27/2/2024, at: <https://bit.ly/3WgyK2l>

Ruhrtriennale⁽⁵⁵⁾. لقد قدمت آنا يونس وإسراء أوزيوريك⁽⁵⁶⁾ أفضل تفسير، أشارت الأولى إلى ما سمته "الحرب على معاداة السامية" (كالجرب على الإرهاب) وأشارت الثانية إلى أن السياسيين والصحافيين والأكاديميين الألمان "يتعاقدون من الباطن" (أو عمل مناولة) Subcontract ذنب الهولوكوست إلى الوافدين الجدد من الأقليات من المهاجرين، وخاصة العرب المسلمين. يجري إسقاط "المشكلة الاجتماعية الألمانية العامة المتمثلة في معاداة السامية" على هذه الأقلية، التي توصم بعد ذلك بأنها "أكثر المعادين للسامية غير التائبين"، وتحتاج إلى تعليم إضافي وانضباط. أظهرت هذا التعاقد من الباطن أيضًا هنا الطاهر وأنا-إيستر يونس، بعد العمل المعادي للسامية في مدينة هاله ضد كنيس يهودي في عام 2019 الذي ارتكبه رجل ألماني متعصب، ونشر مؤتمر رؤساء الجامعات الألمانية بيانًا فيما يتعلق بهذه الأحداث. ومن المفارقات أنه بدلًا من استهداف التفوق الأبيض وإدانتته، ينصح البيان بحظر نشاط حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS في حرم الجامعات الألمانية⁽⁵⁷⁾.

وهذا يتجاوز ألمانيا؛ فتقرير مركز الأمن والعرق والحقوق بعنوان "معاداة السامية المفترضة في خطاب فلسطين - إسرائيل: مجازات إسلاموفوبية"⁽⁵⁸⁾ مقنع للغاية، حيث يرى أنه "عندما يدافع المسلمون والعرب في الولايات المتحدة عن حقوق الفلسطينيين أو ينتقدون سياسة الدولة الإسرائيلية، كثيرًا ما يُفترض بلا أساس أن الدافع وراءهم هو كراهية اليهود بدلًا من دعم حقوق الإنسان والحرية والتطبيق المستمر للقانون الدولي".

يشير بانكاج ميشرا⁽⁵⁹⁾ إلى كتاب أندرو بورت لن يحدث مرة أخرى أبدًا: الألمان والإبادة الجماعية بعد المحرقة⁽⁶⁰⁾، لفهم أفضل لعدم المبالاة المنتشرة على نطاق واسع في ألمانيا تجاه مصير الفلسطينيين

55 وفي أعقاب الجدل الذي أحاط بحضوره، وقّع أكثر من 400 عالم، بمن فيهم جوديث بترل، ونعوم تشومسكي، وإتيان باليار، تعهدًا "بمعارضة التدخل الأيديولوجي أو السياسي واختبارات ليموس في ألمانيا". ينظر:

Denijal Jegić, "Colonial Discourses are Stifling Free Speech in Germany," *Aljazeera*, 19/6/2020, accessed on 24/12/2023, at: <https://bit.ly/46jMD4w>

56 Esra Özyürek, *Subcontractors of Guilt: Holocaust Memory and Muslim Belonging in Postwar Germany* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2023).

57 Hanna Al-Taher & Anna-Esther Younes, "Lebensraum, Geopolitics and Race—Palestine as a Feminist Issue in German-Speaking Academia," *Ethnography*, vol. 25, no. 2 (2023), pp. 1-27.

58 "Presumptively Antisemitic: Islamophobic Tropes in the Palestine-Israel Discourse," Rutgers Law School Center for Security, Race and Rights (November 2023), accessed on 24/12/2023, at: <https://cutt.ly/Xel9SNxd>

59 Pankaj Mishra, "Memory Failure," *London Review of Books*, vol. 46, no. 1 (January 2024).

60 Andrew I. Port, *Never Again: Germans and Genocide after the Holocaust* (Cambridge, MA/ London: The Belknap Press of Harvard University Press, 2023).

شبح بلاغي Rhetorical Phantom على أنه "دعوات للإبادة الجماعية للشعب اليهودي" من عضو الكونغرس الجمهورية، إيلز ستيفانيك، خلال جلسة استماع لثلاثة رؤساء لجامعات النخبة (هارفارد، ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وجامعة بنسلفانيا) الذين استدعاهم الكونغرس في 5 كانون الأول/ ديسمبر 2023 للإدلاء بشهادتهم حول "معاداة السامية في الحرم الجامعي". وغني عن القول إن معظم هذه المظاهرات نظمتها منظمة أصوات يهودية من أجل السلام وطلاب من أجل العدالة في فلسطين، لذا فإن الكثير منهم هم من اليهود أنفسهم! لا يسعني إلا أن أعتقد أن التركيز على هذه الجامعات لأن هؤلاء الرؤساء الثلاثة من النساء وإحدهن سوداء. وكانت نتيجة عدم النقاش حظر الحديث في كثير من الجامعات الأميركية، حيث طالب المتحدثون بوقف إطلاق النار، بينما تُظهر استطلاعات الرأي أن 80 في المئة بين الناخبين الديمقراطيين و56 في المئة بين الناخبين الجمهوريين يؤيدون وقف إطلاق النار الفوري وغير المشروط في غزة⁽⁷⁰⁾.

وفي ظل تسليع التعليم العالي، فإن القضية المطروحة على المحك تبعاتها كبيرة. فعلى سبيل المثال، أشار بعض المانحين لجامعة هارفارد إلى أن تمويلهم معرض للسحب. في عام 2023، تعرضت كلية بارد Bard College للهجوم، بسبب مادة دراسية حول الفصل العنصري في إسرائيل - فلسطين يدرّسها الباحث الأميركي اليهودي ناثان ثرال. وأثار قرار بارد بالدفاع عنه حملة منظمة وتهديدات بسحب التمويل من الجهات المانحة، بما في ذلك رجل أعمال العقارات روبرت إبستين، الذي استقال من مجلس أمناء بارد⁽⁷¹⁾.

2. إسرائيل دولة "علمانية"

ساد ضرب من الاعتقاد أن إسرائيل دولة علمانية لا يمكنها أن ترتكب أي خطأ. وإذا نظرنا إلى أحد مؤشرات توسّع الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وجدنا أن القادة الإسرائيليين اليساريين قد توسّعوا أكثر من اليمينيين⁽⁷²⁾. أتذكر كلمة ألقاها آلان تورين في كلية الدراسات المتقدمة في العلوم الاجتماعية EHESS في باريس في عام 1993، حيث

يستمر الانتهاك الألماني للحرية الأكاديمية؛ ففي 5 شباط/ فبراير 2024، قُصِل الأنتروبولوجي اللبناني الأسترالي البارز، غسان الحاج، من معهد ماكس بلانك الألماني MPI⁽⁶⁴⁾. وبدأت القصة، حينما نشرت صحيفة *Welt am Sonntag* اليمينية مقالاً تشهيرياً ضده، سلطت الضوء فيه على أن الحاج استخدم في وسائل التواصل الاجتماعي مواد عنصرية أو معادية للسامية⁽⁶⁵⁾. ومن المثير للاهتمام أن بعض الهيئات الأكاديمية أصدرت بيانات واضحة ضد قرار هذا المعهد، بما في ذلك الجمعية الألمانية للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية⁽⁶⁶⁾ والرابطة الأوروبية للأنثروبولوجيا الاجتماعية⁽⁶⁷⁾، وحتى بدعم من علماء الأنثروبولوجيا الإسرائيليين⁽⁶⁸⁾. وأوضح بيان الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط الداعم للحاج أن قرار إقالته "يستند إلى تعريف خاطئ لمعاداة السامية أضيف عليه الطابع المؤسسي في ألمانيا، ولكنه غير ملزم قانونياً وفقاً للحكومة الألمانية"⁽⁶⁹⁾.

”أصبح موضوع معاداة السامية موضوعاً للوصم يغلق به النقاش والمناظرة“

لقد أصبحت موضوع معاداة السامية موضوعاً للوصم يغلق به النقاش والمناظرة. ففي الولايات المتحدة، أثناء المطالبة بوقف إطلاق النار في منطقة حرب حيث يُذبح عشرات الآلاف من المدنيين، هتف طلاب الجامعات "من النهر إلى البحر، فلسطين ستتحرق". وتناثرت لافتات كثيرة من مظاهراتهم واضحة، مفادها أن هذه دعوة إلى دولة ديمقراطية وعلمانية لجميع سكانها. ومع ذلك، تم تفسير هذا الشعار في

64 "Statement of the Max Planck Society about Prof. Ghassan Hage," Max-Planck-Gesellschaft, 7/2/2024, accessed on 7/2/2024, at: <https://bit.ly/3WAvrV1>

65 Dirk Banse, Martin Lutz & Uwe Müller, "Anti-Semitism Scandal Shakes German Nobel Prize Forge," *Welt*, 5/2/2024, accessed on 7/2/2024, at: <https://bit.ly/3y0HbXL>

66 "Statement of the Board on Academic Freedom in Germany," Deutsche Gesellschaft fuer Sozial- und Kulturanthropologie, 12/2/2024, accessed on 12/2/2024, at: <https://bit.ly/46nNKA7>

67 "EASA Letter Regarding Academic Freedom and Prof. Ghassan Hage," EASA, 14/2/2024, accessed on 14/2/2024, at: <https://bit.ly/3zUM1WR>

68 "Letter of Support for Prof. Ghassan Hage from Israeli Scholars," *Focaal Blog*, 19/2/2024, accessed on 20/2/2024, at: <https://bit.ly/4bZYLZM>

69 "Letter to Max Planck Society Regarding Professor Ghassan Hage."

70 Ahmed Bouzid, "Nine Reactions to Professor Claire O. Finkelstein's Call for Restricting Free Speech on Palestine," *Social Epistemology Review and Reply Collective*, vol. 13, no. 1 (2024);

وهذا الاتجاه ليس فقط في الولايات المتحدة ولكن في جميع أنحاء العالم، يراجع محمد الشرقاوي في: محمد الشرقاوي، "بين خطاي الضمّة والقَلْبُطنة: تحول نسقي في تمثيلات الرأي العام الغربي"، دراسة إعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، 2014/1/8، شوهد في 2024/1/25، <https://bit.ly/3zZpjwT>

71 Hall.

72 Sari Hanafi, "Explaining Spacio-Cide in the Palestinian Territory: Colonization, Separation, and State of Exception," *Current Sociology*, vol. 61, no. 2 (2013), pp. 190-205.

الدنمارك والسويد والنمسا، أصبح هذا هو موقف أغلبية المشهد السياسي في تلك البلدان⁽⁷³⁾.

”

إن الاستماع إلى الكثير من السجلات في وسائل الإعلام الفرنسية حول غزة يظهر أنها تنزلق سريعاً إلى الحديث عن الإسلام، لكن "ما يتم الجدل فيه ليس الإسلام ظاهرة وموضوعاً للبحث، بل الإسلام باعتباره معياراً فاصلاً يحدد العضوية في المجتمع السياسي

”

لا تزال علمانية معادية للإسلام تهيمن على قراءة الصراع العربي - الإسرائيلي، لا يسعها إلا أن تكون ضد حماس. ومن خلال مساواتها بداعش، تصبح حماس إنساناً حراماً⁽⁷⁴⁾، يمكن أن يقتل سكان غزة من دون محاسبة قاتليهم على قتلهم. ولتحقيق ذلك نُظر إلى حماس على أنها ميليشيا لا تمثل الشعب الفلسطيني⁽⁷⁵⁾. وهذا تجهيل ممنهج؛ إذا نظرنا إلى وسائل الإعلام الفرنسية والألمانية أثناء الحرب على غزة، فنادرًا ما نجد أي أصوات فلسطينية أو مسلمة. تنضم الأكاديميا إلى وسائل الإعلام، باستثناء من يستطيع المشاركة في إنتاج المعرفة ومن لا يستطيع (وهذا له علاقة بالمنظور الاستعماري). وقد عبّرت هنا الطاهر وأنا يونس⁽⁷⁶⁾ عن ذلك بما يلي: "يمكن فهم الصمت باعتباره سمة بنوية لأشكال التواصل التي تم تشكيلها استعماريًا. قامت سبيفاك بتحليل احتمالات واستحالة 'الاستماع' في البنية الاستعمارية. وفقًا لسبيفاك، فإن

73 ينظر على سبيل المثال إلى خطابهم في المؤتمر العالمي لعلم الاجتماع في ملبورن في تموز/ يوليو 2023.

74 Giorgio Agamben, *Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1998).

75 في الحقيقة إن حماس تحظى بدعم كبير لدى كثير من أبناء الشعب الفلسطيني، سواء داخل فلسطين المحتلة أو في الشتات. لقد انتخب الشعب الفلسطيني حماس عام 2006، وكانوا واضحين في عقيدتهم أمام من انتخبوهم، حتى إنني رأيت بعض الأصدقاء المسيحيين يدلون بأصواتهم لصالحهم. وعلى مدى السنوات الخمس الماضية، ما زالوا يفوزون في انتخابات الهيئات الطلابية في الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية. وتنبع شعبيتها من حقيقة أنه لا يوجد حل سياسي مع نظام الإبادة الجماعية الإسرائيلي، في حين أن هناك ضرورة لجعل المشروع الاستعماري الاستيطاني الإسرائيلي المستمر مكلفاً على إسرائيل. وهذا يترك الفلسطينيين مع حماس باعتبارها الفصل الوحيد الذي يعمل فعلياً من أجل مصالحهم بأي طريقة حقيقية. يجب على أولئك الذين يعترضون على تصرفات حماس أن يخبرونا: لماذا كانت السلطة الفلسطينية "المعتدلة" غير قادرة على إجبار إسرائيل على التخلي عن الضفة الغربية وإنهاء الاحتلال؟ ولم يكن لهذه السلطة أي أوراق في يدها بعد أن أصبح قادتها يعتمدون على نبذهم غير المشروط للعنف ضد إسرائيل مقابل الحصول على سبل عيشهم ومساعدات الدول الغربية والعربية.

76 Al-Taher & Younes, p. 11.

استذكر "المعجزة" الإسرائيلية المتمثلة في استيعاب 150 ألف يهودي روسي في غضون عام واحد. وحين اعترضت على هذه المعجزة بأن بعض هؤلاء المهاجرين قد أقاموا بطريقة غير قانونية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أجاب: "هؤلاء المهاجرون سيغيرون المعادلة، فقد نشؤوا في الاتحاد السوفياتي، وهم علمانيون، لذا سيدعمون عملية السلام". وهو لا يعلم أنهم أسسوا الحزب السياسي اليميني المتطرف "إسرائيل بيتنا"، وتحالفوا مع حركة المستوطنين المتدينين في الضفة الغربية. منذ هذه الحكاية التقينا عدة مرات وبين الحين والآخر أذكره بما قاله، وفي كل مرة أتلقي منه إما ضحكة وإما ابتسامة عريضة.

ويستمر هذا الاتجاه العلماني في الازدهار من خلال كتابات باحثين، مثل إيلي بارنافي وجيل كيبييل، حيث تمت مقابلتهم في صحيفة *Express* وقالوا إن هناك صراعاً اليوم بين حركتين قوميتين دينيتين: حماس/ الجهاد الإسلامي من الجانب الفلسطيني وأحزاب الحركة الدينية في إسرائيل، على هذا النحو، لا يمكنها انتقاد إسرائيل بصفتها دولة علمانية، بل انتقاد بعض الأطراف السياسية في هذا البلد. وذهب كيبييل إلى حد تشبيه حماس بتنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" ومقارنة أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر بـ 11 سبتمبر. وهذا الاتجاه غير قادر على رؤية حماس بوصفها تعبيراً عن حركة تحرر وطني (وهو ما كرره فرانسوا بورغا مرات عديدة) في وقت يوجد فيه مشروع استعماري واستيطاني وأبارتهايد استيطاني على الأقل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفقاً للقوانين الدولية. وسأوجه انتقاداتي هنا أيضاً إلى الليبراليين الرمزيين في العالم العربي، مثل الباحث التونسي حمادي الرديسي الذي لا يستطيع أن يرى كيف أن حماس هي تعبير عن مشروع قومي فلسطيني ويغتنم مناسبة 7 تشرين الأول/ أكتوبر للتدديد بجميع الأعمال العسكرية التي تقوم بها هذه المنظمة في فلسطين.

3. الإسلاموفوبيا وحماس

العامل الثالث الذي أبينه هنا هو أن موقف الغرب من حماس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بزحف الإسلاموفوبيا في العديد من الدول الغربية وبدرجات متفاوتة. لقد أصر فرانسوا بورغا وناصر غنيف على حقيقة مفادها أن التوترات والانقسامات بين أوروبا والعالم الإسلامي، محلية أو إقليمية، يمكن تحليلها على أنها ناتجة من ديناميكيات تاريخية مختلفة. وأهم هذه التوترات لا علاقة لها بالشؤون الدينية بين الدول، بل هي داخلية وسياسية، وإلى حد بعيد ذات طبيعة بنوية. وعلى مدى السنوات الخمس الماضية، لم يعد هذا الموقف حكرًا على القوى السياسية اليمينية المتطرفة. فمن إيطاليا إلى

تعكس هذه النقاط كيفية النظر إلى المفاهيم العالمية مع انحيازات ناتجة من موضوعة هذا الفكر أو هذا الباحث. ومع ذلك، فإن هذه المفاهيم مهمة للغاية لمقارنة الظواهر الاجتماعية والسياسية ولحشد التضامن الإنساني. في دعوة أستاذة القانون في جامعة بنسلفانيا كير أو. فينكلستين لتقييد حرية التعبير في فلسطين⁽⁸¹⁾، فهي لا ترى سوى "العنف" و"الأمان"⁽⁸²⁾ Safe المحتملين في حرم الجامعات الأميركية ويبقى العنف، تحت شكل الإبادة الجماعية أو على الأقل جرائم حرب في غزة غير مرئي لها. إن النقاش وحده هو الذي يمكن أن يعزز فهمنا للكونية. وهنا سأدلي بالتعليق نفسه على من هم من العرب الذين لديهم حساسية تجاه القضية الفلسطينية، ولكنهم يؤيدون القتل الجماعي الذي يمارسه النظام السوري أمام شعبه. وهذا يعني أنهم غير قادرين على استخدام المعايير الكونية نفسها لتقييم العدالة والظلم.

وبالعودة إلى الموقف الغربي من حرب الإبادة على غزة فإن المشكلة لا تكمن في القيم الكونية لحقوق الإنسان والمواثيق الدولية⁽⁸³⁾ و"لا تكمن المهمة في إنكارها وفضح زيفها، بل في فضح التشديق بها، والتنكر لها، وعدم الالتزام بها أو بالقانون الدولي، وتفريغها من مضمونها في منظومة دولية تخضع فيها القيم المصوغة في معاهدات وتفسيراتها للمصالح وعلاقات القوة"⁽⁸⁴⁾. ويتابع عزمي بشارة أنه ينبغي أن لا يؤدي نقدنا للكيل بمكيالين إلى التحدث عن وجود صراع ديني أو حضاري مع الغرب. وحتى لو كان الغرب مدفوعاً في دعمه لإسرائيل بإسلاموفوبيا فهي ظاهرة سياسية أكثر منها دينية. فجزء مهم من الإسلاموفوبيا لا يؤمنون بدين معين. إن كان هناك صراع فهو مع أخلاقيات نيوليبرالية لتوجهات اليمين الشعبوي والعنصري والليبرالية الرمزية العنصرية.

81 Claire O. Finkelstein, "To Fight Antisemitism on Campuses, We must Restrict Speech," *The Washington Post*, 10/12/2023, accessed on 12/12/2023, at: <https://bit.ly/3WBIZQ4>

82 تشدد بعض الأصوات على مسألة الأمان. وفي حين يصرخ الطلاب المحتجون مطالبين بإنهاء الإبادة الجماعية للفلسطينيين، تعرضت جامعة هارفارد للهجوم من خريجيهما، بما في ذلك عضو مجلس الشيوخ عن ولاية يوتا، ميت رومني، بسبب عدم قيامها بما يكفي لإبقاء الطلاب اليهود "آمنين". ينظر: Hall.

83 البعض يصوغها كذلك ولو أن المقصود منها الكيل بمكيالين. على سبيل المثال غرد ناشط حقوق الإنسان محمد صفا: "لقد علمتني غزة أن الكثير من الأشخاص الذين يدعون أنهم نشطاء في مجال حقوق الإنسان لا ينشطون إلا عندما يتعلق الأمر بأشخاص من خلفية أو عرق معين. حقوق الإنسان لها لون بشرية، وكلما كنت أعمق كلما قلت استفادتك من حقوق الإنسان". شوهد في 2024/1/25، في: <https://twitter.com/mhdkasa/status/1762789786807332969>

84 عزمي بشارة، "قضايا أخلاقية في أزمنة صعبة (صيغة معدلة)"، تبين، مج 12، العدد 47 (شتاء 2024).

الجنس والوضع الاستعماري والطبقة تنتج معاً ذوات تتحدث، ولكن لا يتم الاستماع إليها". وفي السياق نفسه، ترى دينا كيوان⁽⁷⁷⁾ أن إنتاج المعرفة حول فلسطين في سياقات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة يشهد على تجارب بيئة عمل معادية وقيود على الحرية الأكاديمية في العديد من روايات الأشخاص الذين أجريت معهم مقابلات.

وغني عن القول إن الاستماع إلى الكثير من السجلات في وسائل الإعلام الفرنسية حول غزة يظهر أنها تنزلق سريعاً إلى الحديث عن الإسلام، لكن "ما يتم الجدل فيه ليس الإسلام ظاهرةً وموضوعاً للبحث، بل الإسلام باعتباره معياراً فاصلاً يحدد العضوية في المجتمع السياسي"⁽⁷⁸⁾.

4. الإرث الاستعماري الأوروبي - الأميركي

بما أن "عدو عدوي هو صديقي"، فأنا لا أتفاجأ بأولئك اليمينيين المتطرفين الذين أصبحوا، في ظل الإسلاموفوبيا، مؤيدين بشدة للممارسات الاستعمارية الإسرائيلية، لكن من أولئك الذين يزعمون أنهم أصحاب النظرية النقدية من الليبراليين الرمزيين. وأزعم هنا أن ذلك استمرار للإرث الاستعماري الأوروبي - الأميركي، والأسلوب الاستعماري كما وصفه أفارين فاريدي: "انتظر حتى يموت الشعب، واصنع متحفاً لإباده الجماعية، ثم أنشئ أقساماً في الجامعة للديكولوجيا على مقابرهم الجماعية"⁽⁷⁹⁾. هناك نقطتان يجب تطويرهما هنا: أولاً، ما الذي يهتم لبناء قيم إنسانية ومفاهيم أو تصنيفات كونية Universal Categories؟ ثانياً، الفجوة بين القيم الليبرالية وتطبيقها خاصة خارج حدود الدولة الوطنية.

فيما يتعلق بالنقطة الأولى، وجه حميد دباشي انتقاداً لاذعاً إلى الفلسفة الأوروبية. بالنسبة إليه، "أولئك من خارج المجال الأوروبي للخيال الأخلاقي لا وجود لهم في عالمهم الفلسفي. العرب والإيرانيون والمسلمون أو الناس في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية - ليس لدينا أي حقيقة وجودية للفلاسفة الأوروبيين، باستثناء التهديد الميتافيزيقي الذي يجب التغلب عليه وإسكاته"⁽⁸⁰⁾. بالنسبة إليّ، الأمر أشد تعقيداً، ولكل فكر نقاطه العمياء (الأيديولوجية). فلا تؤثر العلوم الاجتماعية والإنسانية فقط في الثقافة، بل تؤثر الثقافة أيضاً في إنتاج المعرفة.

77 Kiwan, p. 164.

78 Baudouin Dupret & Jean-Noël Ferrié, "Islam, frérisme et autres chimères: Réflexion à partir de débats Français oiseux et pernicieux," *Mouvements*, 13/1/2024, accessed on 13/1/2024, at: <https://bit.ly/3YgK41e>

79 Afreen Faridi, "What Palestine Teaches Teachers of Politics and Law," *The Leaflet* (blog), 29/10/2023, accessed on 13/1/2024, at: <https://bit.ly/3SJwfv>

80 Dabashi.

المرتبطتين بمشروع هذه المدرسة عميماً وصامتاً تماماً عن الحركات الآتية مما نسميه اليوم الجنوب العالمي. وبهذا المعنى، فإن هابرماس هو مجرد مُنظر جيّد لمدرسة فرانكفورت⁽⁸⁷⁾.

سأستخدم المنطق نفسه عند التعامل مع مارتن هايدغر، وميشيل فوكو، وإيمانويل ليفيناس، وجون لوك، وإيمانويل كانط، وديفيد هيوم، وكارل ماركس، ومن إليهم. ويجب أن يمتد هذا أيضاً إلى السياسيين (الحاليين والتاريخيين)، والمشاهير والشخصيات العامة الرائدة، حتى نتمكن من الاحتفال بما يمكن اعتباره أعمالاً صالحة، بينما ننتقد أعمالهم الظالمة في مجتمعهم وخصوصاً إرثهم الاستعماري. أحد الأمثلة الجيدة يمكن أن نجده في المتحف الوطني للفنون الجميلة في أمستردام، حيث يضيف إلى كل لوحة حول شخصية هولندية تاريخية لافتة إضافية تشرح دورها في تجارة العبودية. أفضل هذه الطريقة مقارنة بمحاولات إزالة اللوحة أو التمثال أو الصرح. فمثلاً، كانت هناك محاولة لإزالة اسم ديفيد هيوم من "برج ديفيد هيوم" في جامعة إدنبرة. وكان الاقتراح الأولي هو استبداله بخريج آخر ليصبح "برج يوليوس نيريري"، تكريماً للزعيم التنزاني المناهض للاستعمار الذي تخرج في هذه الجامعة في عام 1952. ثم أُشير إلى أن قيادة نيريري اتسمت بالاستبداد وهراب المثلية⁽⁸⁸⁾. وعلى المنوال نفسه يقترح أحد أساتذة الاجتماع العرب تدريس دي بويز W.E.B. Du Bois بدلاً من إميل دوركايم، بسبب صمت الأخير التام عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر. هل يمكننا أن نتخيل أن طلاب المرحلة الجامعية في علم الاجتماع لا يتعاملون مع مؤسس علم الاجتماع؟ وما العمل، إن كان دي بويز قد تجاهل ما حدث للشعب الفلسطيني وأشاد بإقامة دولة إسرائيل؟ لن نتمكن من وضع حد لهذه الدوامة من الاستبعاد من خلال التفكير الثنائي: ملاك أو شيطان، مذهب أو بريء، إلى آخر ذلك. والتبرير المكون من ثلاثة أجزاء فقط هو الذي يهزم مثل هذا التوجه.

باختصار، ينبغي التعامل مع إنتاج المعرفة الأوروبية - الأمريكية مثلما فعل ديبيش تشاكرابارتي⁽⁸⁹⁾، معتبراً إياه معرفة ضرورية ولكنها ليست كافية؛ وهذا هو المعنى العميق لإضفاء الطابع الإقليمي على أوروبا Provincializing Europe. ويمكننا أن نتساءل عن موقف بعض الباحثين بعد غزة، وهؤلاء هم أنفسهم الذين فكروا في المعرفة

لتوضيح النقطة الثانية التي تتعلق بإمكانية تطبيق القيم الليبرالية، خاصة خارج الدولة الوطنية أو الفضاء الأوروبي، فقد كتب الكثير من الباحثين منتقدين النسخة الرولزية لليبرالية بأنها لا تكتثّر بالعدالة الاجتماعية الكونية بل فقط داخل الدولة الوطنية. وتعتبر حالة يورغن هابرماس نموذجية، لأنه يتمتع بجاذبية قوية للنظريات الليبرالية في السياسة والأخلاق إضافة إلى الأسس الفلسفية الصلبة لكل من الديمقراطية التوافقية وأخلاقيات الاختلاف، ومع ذلك فقد تعرّض حينما تعلق الأمر بحقوق الفلسطينيين في التحرر الوطني. لقد شارك هابرماس في توقيع بيان "مبادئ التضامن"⁽⁸⁵⁾ لمركز أبحاث "الأوامر المعيارية" بجامعة جوتة في فرانكفورت. يصعقك هذا البيان بالانحياز الفاضح ومن دون أي شعور بالحرج على ما تفعله إسرائيل في غزة. لم يكن هابرماس حساساً على الإطلاق إزاء ما تفعله إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، وشعرت بذلك منذ التقيت به في أوائل الانتفاضة الثانية في القدس على عشاء. فلقد فوجئت بموقفه في ذلك الوقت. لذا فإن إنكاره للحقوق الوطنية الفلسطينية ليس مجرد هفوة سياسية. فالمسألة ليست إذا ما كان المرء مهتماً بهابرماس إنساناً أم لا، بل تتمثل في كيفية التعامل مع أفكاره ونظريته التوافقية الحوارية. وهنا أود أن أميز بين الأفكار المرتبطة بالموقف المتخذ وتلك غير المرتبطة بصفة مباشرة. لذلك لن أرمي نظرية التواصل الحوارية بسبب موقفه من فلسطين.

للتعامل مع هذا الموضوع سأتابع عملية تبرير مايكل جيل المكونة من جزأين وأطورهما إلى ثلاثة. أولاً: "العزل المفاهيمي" لبعض أفكار الباحث الإشكالي فيما يتعلق بآرائه العنصرية/ المعيبة. ثانياً، "تقسيم العمل الفكري"، أي إن البعض منا سيركز على المساهمة الإيجابية للباحث الإشكالي في معرفتنا، والبعض الآخر سيفعل ذلك بسبب آرائه العنصرية/ المعيبة⁽⁸⁶⁾. ثالثاً، "التطور التاريخي لوجهات النظر العلمية/ الأخلاقية"، أي إن البشرية طورت مفهوماً للآخر يختلف عما كان عليه في الماضي، وما نعتقده اليوم بأنه أخلاقي قد يعتبر عنصرياً/ معيباً في المستقبل.

ولذلك سأتعامل مع نظرية التواصل الحوارية عند هابرماس حتى لو كنت أختلف مع موقفه السياسي بشأن فلسطين. ولا يعني هذا تمبيع التفكير في بعض الأمط. فيما يتعلق بمدرسة فرانكفورت للنظرية النقدية، فباستثناء هاربرت ماركيز جزئياً، كان جميع المفكرين

87 راجع ملف الحوار العالمي حول تطوير مدرسة فرانكفورت بما في ذلك مركزيتها الأوروبية في:

Global Dialogue, vol. 13, no. 3 (December 2023), accessed on 13/1/2024, at: <https://bit.ly/3LBIYW9>

88 Gill.

89 Dipesh Chakrabarty, *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference* (Princeton, New Jersey/ Oxford: Princeton University Press, 2007).

85 "Grundsätze der Solidarität. Eine Stellungnahme," *Normative Orders*, 13/11/2023, accessed on 13/11/2023, at: <https://bit.ly/46hyHlm>

86 Michael B. Gill, "Of Racist Philosophers and Ravens," *Journal of Controversial Ideas*, vol. 3, no. 1 (April 2023), accessed on 13/11/2023, at: <https://bit.ly/4bZGaNT>

الإبادة الجماعية الألمانية في ناميبيا في بداية القرن العشرين، الادعاء بأن الجزائريين كانوا على التوالي مناهضين للفرنسيين والناميبيين مناهضين للألمان، والأسوأ من ذلك أن الجزائريين والناميبيين كانوا مناهضين للمسيحية.

وعلى الرغم من هذا الكابوس، فقد أصبح من الملح أكثر من أي وقت مضى خلق منظور مشترك من دون تنفير مجموعة أخرى. كيف نتعامل بين طرفين في غياب حد أدنى من التوازن في السلطة؟ من خلال تحويلها إلى مجتمع أخلاقي، هل تضع الأوساط الأكاديمية معايير تقيد الأسئلة التي قد يطرحها الباحثون؟

في هذه الدراسة، أوضح أن عدم التسامح في النقاش له علاقة بالاستقطاب في مجتمع يؤدي فيه كل من الليبراليين الرمزيين والمحافظين دوراً في هذا المناخ المخيف. وتصبح كل مجموعة دوغمائية ومتشدة، وهو ما يذكّرنا بحالة الوطنية التقدمية Progressive Patriotism في عهد وودرو ويلسون أو المكارثية (الحملة ضد الشيوعية في الأربعينيات والخمسينيات) في الولايات المتحدة. ومع ذلك، أصر، في أعقاب النتائج التي توصلت إليها، على انتقال الجامعات، وهي مركز للفنون الحرة Liberal Arts، إلى مواقف غير ليبرالية تحت تأثير تآكل استقلاليتها والاستقطاب الشديد بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب، تحت تأثير الليبرالية الرمزية والشعبوية اليمينية.

الغز الكبير للحرية الأكاديمية هو أن غياب الحرية الأكاديمية والحرية الأكاديمية المطلقة كليهما يؤديان إلى نتائج سلبية دوغمائية سياسية. كيف يمكن المشي على هذا الحبل الرفيع؟ سأطرح هنا أربع أفكار:

1. غالباً ما يبدأ التعصب بوصف الآخر. على سبيل المثال، أصبح مصطلح "الوكية" 'woke' مثيراً للخلاف إلى درجة أنه يضر بدعم القضايا التي من المفترض أن يسلط الضوء عليها. ويُنظر إليه على أنه انغلاق على النفس لنزع الشرعية عن أي انتقادات للأشكال السائدة لإنتاج المعرفة، لكن "مناهضة الوكية" Anti-wokism أيضاً طريقة لإغلاق النقاش. ولهذا أمتنع عن استخدام هذه المصطلحات، وحتى عندما أستخدم مصطلح إلغاء الثقافة، فإنني أظهر أنها ليست وصفاً لمجموعة معينة أي نتاجاً خالصاً لليسار أو الوكية، بل هو مفهوم تحليلي لوضع نجد فيه أيضاً اليمين والمحافظين. كم مرة سمعت زملائي في الأوساط الأكاديمية والناشطين يقولون خلال الربيع العربي "لا ديمقراطية/ لا حوار لأعداء الديمقراطية"، ملمحين بصفة خاصة إلى الإسلاميين؟

2. يؤدي خنق الحرية الأكاديمية إلى عواقب وخيمة. إن أكاديمي العلوم الاجتماعية والإنسانية في الدول التي ينتشر فيها اتجاه

بعد الحرب العالمية الثانية وأظهروا غياب الاتساق. لكنني أخشى من أي توجه "شعبي" يريد أن يرمي بالحدأة وعالمية حقوق الإنسان باسم مثل هذه الاستفسارات والتناقضات. وغني عن القول إنني أودّ اليوم أن أذكر أيّ باحث غربي يأتي لمناصرة العنف المنزلي ضد المرأة في الشرق الأوسط بأنه كان ينبغي له أن يدافع عن القتل الجماعي الإسرائيلي للنساء المدنيات في غزة (في حال لم يفعل ذلك بعد). وعلى المنوال نفسه، بما أن السياسة الأوروبية ومثقفها العضويين (أفكر خاصة في السياسات الألمانية/ البريطانية/ الفرنسية التي غالباً ما ساهمت في تمويل منظمات حقوق الإنسان في الجنوب العالمي) قد فقدوا سلطتهم المعرفية أو مرجعيتهم وحتى صدقيتهم، فإنني سأعامل اليوم أكثر مع الباحثين والناشطين في مجال حقوق الإنسان من أفريقيا واللاتينيين الذين يتعاملون مع المعاناة الإنسانية على نحو أفضل من نظرائهم الأوروبيين. وهكذا، يظل موضوع العنف المنزلي مهماً، بقدر ما يُنظر إليه على أنه بارز في أجندة حقوق الإنسان في أفريقيا أو أميركا اللاتينية أو المحلية. ولن نتمكن من إنقاذ العالمية، إلا من خلال فصل عالمية حقوق الإنسان (المجسدة على سبيل المثال في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) عن التيار الرئيس للسياسة الأوروبية - الأميركية.

خاتمة: التعصب والحوار النقدي

أنشاء وضع اللمسات الأخيرة لهذه الدراسة، علمت أن عالم السياسة الفرنسي الشهير، فرانسوا بورغا، الباحث الفخري في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي CNRS، قد اعتقلته الشرطة الفرنسية بتهمة "تمجيد الإرهاب" واحتُجز عدة ساعات. فجأة، تبادر إلى ذهني محادثة أجريتها مع غسان الحاج حول عمله الميداني في لبنان خلال الحرب الأهلية عام 1978. تحدث أحد الأشخاص الذين أجرى معهم مقابلة (من حزب الكتائب) عن أن الفلسطينيين في لبنان كانوا يهدفون إلى السيطرة على البلاد، وخلق وطن بديل لهم. وحينما سأله الحاج إن كان لديه أي دليل على ذلك، أجاب بغضب بعد صمت شديد لائماً السائل والسؤال على أنهما شنيعان سياسياً: "سأذهب لإحضار مسدسي من السيارة". أشعر اليوم أن مستوى الحديث عن الحرب الإسرائيلية على غزة هو عند هذا المستوى من "الأدلة". وفي السياق نفسه، حينما أُلقيت محاضرة في أوسلو حول الحرب على غزة، كان هناك أحد الحضور يكرر مدى تزايد معاداة السامية اليوم في أوروبا ويعزو ذلك إلى المتظاهرين الذين يطالبون بوقف إطلاق النار في غزة وحل سياسي لاحتلال الإسرائيلي، لم أتمكن من إيقافه قبل أن أسأله إن كان من الطبيعي، خلال معركة الجزائر في نهاية الخمسينيات أو

الغربية والعلاقة بين الشمال والجنوب، والمزيد من الشعبوية والإسلاموفوبيا. فهي تكشف التوترات والاستقطاب ليس فقط بين الأجيال المختلفة فيما يتعلق بإنهاء الاستعمار في فلسطين، بل أيضاً العلاقة بين وسائل الإعلام الرئيسة ومراكز القوى النيوليبرالية المختلفة بما في ذلك اللوبي الإسرائيلي. إنه يوضح مدى عدم ثقة الجيل الجديد بوسائل الإعلام الرئيسة واعتماده على وسائل التواصل الاجتماعي (بما في ذلك الصيني تيك توك). إن نتيجة هذا التغير البردائي ليست سلبية ولا إيجابية كلياً؛ فبينما يتمتع الطلاب بحريات نسبية معقولة لم تعد جامعة كولومبيا، مثلاً، تعطي حرية لجوزيف مسعد، تلميذ إدوارد سعيد كما كانت تعطيه لأستاذة. وستعمل عوامل كثيرة على تغيير بعض جوانب هذا التحول نحو السلبية أو الإيجابية. ولكن أهم عامل هو الحركة الاجتماعية المنظمة. وما يثلج الصدر أن هذه المجموعات التي خرجت إلى الشوارع دعماً لوقف إطلاق النار هي نفسها التي تدافع عن حقوق الأقليات المضطهدة وهي نفسها التي تدافع عن البيئة. وبلغة رنا سكرية⁽⁹³⁾ (بالتحديد حول حركة المقاطعة)، هناك "تواصل بين الخيال الأممي العالمي المناهض للاستعمار والخيال العملي القائم على الحقوق باعتباره محوراً في مسار حركة [BDS]". فهي من ثم تستحق وصفها بأنها أخلاقية، ولكن يجب أن نعترف أن وزنها في الفعل السياسي محدود ما لم تنظم في أطر مؤثرة، كالأحزاب السياسية أو تنتظم سياسياً على الأقل.

4. لقد اهتم كل من دينا كيوان وطارق مودود⁽⁹⁴⁾ بحل التوتر بين الحرية الأكاديمية من جهة و"التنوع والإنصاف والإدماج" EDI. وفي حين تعتبر كيوان الأخيرة شرطاً أساسياً للحرية الأكاديمية، يعاملها مودود على قدم المساواة من خلال اعتبار أنه "لا يمكن أي التزام أن يكون مطلقاً، لأن كلا منهما يجب أن يكون منفصلاً على أن يكون مؤهلاً من الآخر، وسوف تتعارض مجموعتا الالتزامات في بعض الأحيان". بالنسبة إليّ، نحن في حاجة إلى مواصلة إعادة التفاوض على جزء من الحدود بين هاتين المنطقتين، من خلال الحوار وليس الإجراءات القانونية واللجوء إلى إلغاء الدعوة أو إثارة الفوضى، بينما يتكلم المتحدث على المنصة إلا في الحالة القصوى، من أجل الاستماع إلى جميع وجهات النظر (بما في ذلك جميع أشكال الانشقاقات الفكرية) وعدم ارتكاب ما تسميه ميراندا فريكر⁽⁹⁵⁾ الظلم الإبتسمي

الليبرالية الرمزية يوازنون عادة بين حرية التعبير والسلامة العاطفية، ولكن بتجريح الكفة أكثر للأخيرة. لقد طورت إليزابيث نويل نيومان مفهوم "دوامة الصمت"، منذ ما يقرب من أربعة عقود، بالاعتماد على دراسات في علم النفس الاجتماعي وعلم الاتصال بين الأشخاص. ويصف هذا المفهوم المواقف التي يتردد فيها الناس في التعبير عن آراء حقيقية تتعارض مع الأعراف الاجتماعية السائدة، خوفاً من العزلة الاجتماعية أو فقدان المكانة⁽⁹⁰⁾. ومع ذلك فإن الرأي العام ليس ثابتاً على الإطلاق، بل إنه يتطور بمرور الوقت بما يتماشى مع تطور المجتمع وعلاقته بالعمولة. وهذا ما تم توثيقه توثيقاً جيداً للغاية، انظر على سبيل المثال كتاب **رد الفعل الثقافي** (العنيف بين الأجيال المختلفة) لبيبا نوريس ورونالد إنجلهارت⁽⁹¹⁾.

3. سيظل الاستقطاب المخيف قائماً ما دامت السياسة ووسائل الإعلام خاضعة لحيثان المال واللوبيات القوية. اسمحو لي أن أطور هذا فيما يتعلق بالصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. عندما يتعلق الأمر بالموقف من الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، فإن النخبة القديمة تعاني زعزعة استقرارها تماماً من جيل الشباب الأميركي والأوروبي الجديد، وخاصة بين اليهود، الذين يكبحون المد السياسي ضد مكانة إسرائيل المميزة في الغرب ولا يستطيعون دعم الممارسات الاستعمارية الإسرائيلية الحالية والفصل العنصري هناك. بالنسبة إلى النخبة القديمة، لا ينبغي أن يكون هناك أي جدال أو نقاش حول حرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية. ليس الهدف قمع الانتقادات الموجهة إلى إسرائيل، بل حظرها قانونياً. كتبت ربي صالح في مقالة رائعة "هل يستطيع الفلسطيني أن يتكلم؟": "إن إسناد مكان للفلسطينيين خارج التاريخ والإنسانية يعود إلى زمن بعيد، وكان جوهرياً في إنشاء إسرائيل". "لقد تم فضح الحيلة الدارفية Denying Attacking and Reversing Victim and Offender DARVO (إنكار، هجوم، عكس اتجاه الضحية والجاني). نحن الآن في حاجة ماسة إلى إعادة توجيه البوصلة الأخلاقية للعالم، من خلال الكشف عن العمليات المتشابهة لإضفاء الطابع الإنساني وتجريد اليهود الإسرائيليين والفلسطينيين من إنسانيتهم"⁽⁹²⁾.

تمثل الحرب على غزة تغييراً بردائياً ليس فقط في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ولكن بأن تطفح على السطح أزمة الديمقراطية الليبرالية

93 Rana Sukarieh, "Political Imaginaries of Solidarity: The Boycott, Divestment, and Sanctions (BDS) in Toronto," *Social Movement Studies* (2024), pp. 1-16.

94 Tariq Modood, "Resolving the Tension between Academic Freedom and EDI," *The Loop* (2022), accessed on 25/7/2023, at: <https://bit.ly/3LE4N7A>

95 Miranda Fricker, *Epistemic Injustice: Power and the Ethics of Knowing* (Oxford: Oxford University Press, 2009).

90 Elisabeth Noelle-Neumann, *The Spiral of Silence* (Chicago: University of Chicago Press, 1974).

91 Pippa Norris & Ronald Inglehart, *Cultural Backlash: Trump, Brexit, and Authoritarian Populism* (New York: Cambridge University Press, 2019).

92 Ruba Salih, "Can the Palestinian Speak?" *Allegra Lab* (December 2023), accessed on 25/1/2024, at: <https://bit.ly/4dbxT5w>

المعاناة على محمل الجد ويتعاملوا معها باعتبارها هرمينوطيقا للحضور Hermeneutics of presence⁽⁹⁹⁾.

باختصار، إن التعامل مع التعصب والتوفيق بين الحرية الأكاديمية والتنوع والإنصاف والإدماج، هو عملية طويلة، تحتاج إلى إشراك الأطراف في حوار نقدي. الحوار الذي أدعو إليه⁽¹⁰⁰⁾ من خلال العمل في مواجهة الاتجاه غير الليبرالي المتمثل في الليبرالية الرمزية وشعبوية المحافظين.

Epistemic Injustice. الأمر الأشد تعقيداً عندما يتعلق بمحتوى الكلام (النقد مقابل التحيز): هل يمكن مثلاً النطق أو كتابة جملة وصفية أو معيارية بما هو حق ضمن القانون، ولكن التزامنا تجاه التنوع والإنصاف والإدماج يدعونا إلى الامتناع عن ذلك؟ وبعبارة أخرى، كيف يمكن التمييز بين الإسلاموفوبيا/ معاداة السامية وعملية النقد؟ اقترح مودود أن الإجابة لا يمكن تحديدها فقط من خلال فحص التعبير اللفظي نفسه. بل إنه يتطلب النظر في سياق أوسع طارحاً مثل هذه الأسئلة: هل هذا التعبير اللفظي يصور الآخر تصويراً نمطياً بافتراض أنهم جميعاً يفكرون بالطريقة نفسها؟ هل يدعو الآخر إلى حوار؟ هل اللغة متحضرة ومناسبة للسياق؟ هل هناك انتقادات غير صادقة لدوافع خفية؟ يعتمد الأمر على كيفية ردنا لتحديد إن كنا نتعامل بالفعل مع عنصرية/ كراهية للإسلام/ معاداة السامية أم لا⁽⁹⁶⁾.

وهكذا، فإن التفكير النقدي له طرقه في الخطابة والكتابة. وبينما ننتقد سلطة ما، نحتاج أيضاً إلى أن نكون قادرين على فتح حوار مع السلطة نفسها التي ننتقدها. هكذا بالضبط أستطيع أن أنتقد كل الممارسات الاستعمارية في الأراضي الفلسطينية، ولكن في الوقت نفسه أفتح المجال للحوار، وللحديث مع بعض الإسرائيليين⁽⁹⁷⁾. حتى في وقت العنف الشديد، تذكرنا كل من أماني جمال وكيرين يارهي-ميلو، وهما عميدتان فلسطينية وإسرائيلية في الجامعات الأميركية، في مقال مشترك⁽⁹⁸⁾، أنه عندما يكون الخطاب ساماً، يمكن أن تساعد الجامعات على جعل النقاش معقولاً، وأن حرية التعبير لا تعمل إلا عندما يكون هناك خطاب مضاد قوي.

ولكوني سوسيولوجياً، أرى - على نحو عام - أن دوري يتمثل في إظهار أنه لا يوجد شر محض أو خير محض. يذكرنا علم الاجتماع المسلح بالخيال السوسيولوجي بالطبيعة المعقدة للظواهر الاجتماعية، وأهمية مشيئة الفاعلين ومنطق الهدية والحب. لا يمكن أن تأتي القوة دائماً من السلطة والتسلسل الهرمي (من خلال آليات الهيمنة والمنافسة) ولكن من خلال التعاون والوفرة والرعاية. لم يكن علم الاجتماع هذا حساساً فقط لكيفية تبرير الناس لأفعالهم أخلاقياً، ولكن كيف يمكن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أن يأخذوا هذه

96 Ibid.

97 Sari Hanafi, "Social Love as an Approach: Notes from the Field," in: Silvia Cataldi & Gennaro Iorio (ed.), *Social Love and the Critical Potential of People* (London: Routledge, 2022).

98 Amaney Jamal & Keren Yarhi-Milo, "The Discourse is Toxic. Universities Can Help," *The New York Times*, 30/10/2023, accessed on 25/12/2023, at: <https://bit.ly/4cKyik1>

99 Silvia Cataldi, "Un Concept Karstique de la Sociologie: L'amour Comme Socialité," *Sociétés*, vol. 149, no. 3 (August 2020), pp. 15-30.

100 حنفي، "نحو علم اجتماع حوارى".

المراجع

العربية

- Bouzid, Ahmed. "Nine Reactions to Professor Claire O. Finkelstein's Call for Restricting Free Speech on Palestine." *Social Epistemology Review and Reply Collective*. vol. 13, no. 1 (2024).
- Castronovo, Russ & Dana D. Nelson (eds.). *Materializing Democracy: Toward a Revitalized Cultural Politics*. Durham/ London: Duke University Press Books, 2002.
- Cataldi, Silvia & Gennaro Iorio (ed.). *Social Love and the Critical Potential of People*. London: Routledge, 2022.
- Cataldi, Silvia. "Un Concept Karstique de la Sociologie: L'amour Comme Socialité." *Societes*. vol. 149, no. 3 (August 2020).
- Chakrabarty, Dipesh. *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference*. Princeton, New Jersey/ Oxford: Princeton University Press, 2007.
- Dufoix, Stéphane. *Décolonial*. Paris: Anamosa, 2023.
- Dupret, Baudouin & Jean-Noël Ferrié. "Islam, frérisme et autres chimères: Réflexion à partir de débats Français oiseux et pernicieux." *Mouvements*. 13/1/2024. at: <https://bit.ly/3YgK41e>
- Fish, Stanley. *Versions of Academic Freedom: From Professionalism to Revolution*. Chicago, IL: The University of Chicago Press, 2014.
- Freeman, Mark. "First Principles: The Need for Greater Consensus on the Fundamentals of Polarisation." *IFIT Discussion Paper*. Institute for Integrated Transitions (May 2023). at: <https://bit.ly/3SnZtZU>
- Fricker, Miranda. *Epistemic Injustice: Power and the Ethics of Knowing*. Oxford: Oxford University Press, 2009.
- Gill, Michael B. "Of Racist Philosophers and Ravens." *Journal of Controversial Ideas*. vol. 3, no. 1 (April 2023). at: <https://bit.ly/4bZGaNt>
- الأمين، عدنان. "الجامعات العربية وتحديات التغيير الاجتماعي." **عمران**. مج 7، العدد 26 (خريف 2018).
- الشرقاوي، محمد. "بين خطابي الصَّهْيَةِ والفَلَسْطَنَةِ: تحول نسقي في تمثيلات الرأي العام الغربي." **دراسة إعلامية**. مركز الجزيرة للدراسات. 2014/1/8. في: <https://bit.ly/3zZpjwT>
- بشارة، عزمي. "قضايا أخلاقية في أزمنة صعبة (صيغة معدلة)". **تبين**. مج 12، العدد 47.
- حنفي، ساري. "القلم والسيوف: الهامش الضيّق في الحريات الأكاديمية". **إضافات**. العدد 29-30 (ربيع 2015).
- _____. "السوسيولوجيا الكونية: نحو اتجاهات جديدة". **إضافات**. العدد 45 (2018).
- _____. "نحو علم اجتماع حوارِي". **عمران**. مج 12، العدد 46 (خريف 2023).

الأجنبية

- Adekoya, Remi, Eric Kaufmann & Thomas Simpson. "Academic Freedom in the UK." *policy Exchange* (2020). at: <https://bit.ly/3y8rC04>
- Agamben, Giorgio. *Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life*. Stanford, CA: Stanford University Press, 1998.
- Al-Taher, Hanna & Anna-Esther Younes. "Lebensraum, Geopolitics and Race—Palestine as a Feminist Issue in German-Speaking Academia." *Ethnography*. vol. 25, no. 2 (2023).
- Atlani-Duault, Laëticia & Stéphane Dufoix. "Chercheurs à la barre. Les sciences sociales saisies par la justice." *Socio. La nouvelle revue des sciences sociales*. no. 3 (2014).
- Bhambra, Gurinder K. & John Holmwood. *Colonialism & Modern Social Theory*. Cambridge/ Medford, MA: Polity press, 2021.

- Norris, Pippa & Ronald Inglehart. *Cultural Backlash: Trump, Brexit, and Authoritarian Populism*. New York: Cambridge University Press, 2019.
- Norris, Pippa. "Closed Minds? Is a 'Cancel Culture' Stifling Academic Freedom and Intellectual Debate in Political Science?" *Working Paper Series*. no. RWP20-025. Harvard Faculty Research (August 2020).
- Özyürek, Esra. *Subcontractors of Guilt: Holocaust Memory and Muslim Belonging in Postwar Germany*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2023.
- Pollet, Thomas V. & Tamsin K. Saxton. "How Diverse are the Samples Used in the Journals 'Evolution & Human Behavior' and 'Evolutionary Psychology'?" *Evolutionary Psychological Science*. vol. 5, no. 3 (2019).
- Port, Andrew I. *Never Again: Germans and Genocide after the Holocaust*. Cambridge, MA/ London: The Belknap Press of Harvard University Press, 2023.
- Quijano, Anibal. "Paradoxes of Modernity in Latin America." *International Journal of Politics, Culture, and Society*. vol. 3, no. 2 (1989).
- Scott-Baumann, Alison et al. *Islam on Campus: Contested Identities and the Cultures of Higher Education in Britain*. Oxford: Oxford University Press, 2020.
- Sukarieh, Rana. "Political Imaginaries of Solidarity: The Boycott, Divestment, and Sanctions (BDS) in Toronto." *Social Movement Studies* (2024).
- Global Dialogue*. vol. 13, no. 3 (December 2023). at: <https://bit.ly/3LBIYW9>
- Gordon, Neve. "On Antisemitism and Human Rights." *The International Journal of Human Rights*. vol. 28, no. 4 (2024).
- Hanafi, Sari. "Explaining Spacio-Cide in the Palestinian Territory: Colonization, Separation, and State of Exception." *Current Sociology*. vol. 61, no. 2 (2013).
- Hobbes, Thomas. *Leviathan*. G. A. J. Rogers & Karl Schuhmann (eds.). vol. 1. Bristol: Thoemmes Continuum, 2003.
- Kaufmann, Eric. "Academic Freedom in Crisis: Punishment, Political Discrimination, and Self-Censorship." *CSPI Report*. Center for the Study of Partisanship and Ideology (2021). at: <https://bit.ly/3zWT0yH>
- Kirk, Russell. *Academic Freedom: An Essay in Definition*. Chicago: Henry Regnery Company, 1955.
- Kiwan, Dina. *Academic Freedom and The Transnational Production of Knowledge*. Cambridge: Cambridge University Press, 2023.
- Lawford-Smith, Holly. *Gender-Critical Feminism*. Oxford: Oxford University Press, 2022.
- Lukianoff, Greg & Jonathan Haidt. *The Coddling of the American Mind: How Good Intentions and Bad Ideas Are Setting Up a Generation for Failure*. New York: Penguin Press, 2018.
- Menand, Louis (ed.). *The Future of Academic Freedom*. Chicago, IL: University of Chicago Press, 1998.
- Mishra, Pankaj. "Memory Failure." *London Review of Books*. vol. 46, no. 1 (January 2024).
- Nitzan, Jonathan & Shimshon Bichler. *The Global Political Economy of Israel*. London: Pluto Press, 2002.
- Noelle-Neumann, Elisabeth. *The Spiral of Silence*. Chicago: University of Chicago Press, 1974.